Kirkuk University Journal: Humanity Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
https://kujhs.uokirkuk.edu.iq
DOI: 10.32894/1992-1179.2025.164681.1263
Date of research received 09/02/2025, Revise date 09/16/2025 and accepted date 10/04/2025

The Eloquence Of Retriation In Single Qur''anic Stories From Cutting Events To Generating Meanings Reading In Selected Models

Assistant Professor Dr. Ahmed Juma Shawan

Abstract :

The Qur'anic story is characterized by a unique artistic style, as it represents a guiding speech that affects the soul of the recipient, because of the pleasure it contains in the presentation, beauty in rhythm and depth in the meaning of meanings, as well as combining rhetoric and the Qur'anic miracle. Stories are one of the methods carried by the Holy Qur'an, so that people argue with them. We do not find a surah of its surah, no matter how long or short it is devoid of a scene or situation, except in which there is a call to truth, and guidance to good sites. It is a means used by the Qur'an to legislate and build the individual and society. This research aims to study (the phenomenon of retribution in Qur'anic stories) with a focus on how to achieve rhetorical and religious purposes. It is a Qur'anic style that combines br.

Keywords: Retriation, Story, Narrative Rhetoric

بلاغة الاقتصاص في القصص القرآنية المنفردة
من تقطيع الأحداث إلى توليد المعاني قراءة في نماذج مختارة

ا.م. د. أحمد جمعة شوان*

الملخص

تتميز القصة القرآنية باسلوب فني فريد، كونها تمثل خطابا توجيهاً يؤثر في نفس المتلقي، لما تحتويه من متعة في العرض، وجمال في الإيقاع وعمق في دلالة المعاني، فضلاً عن كونها تجمع بين البلاغة والإعجاز القرآني، فالقصص هي أحدى الأساليب التي حملها القرآن الكريم، ليحاجّ الناس بها فلا نجد سورة من سوره مهما طالت أو قصرت تخلو من مشهد أو موقف إلا وفيه دعوة إلى الحق والهداية إلى مواقع الخير، فهي وسيلة يستعملها القرآن للتشريع وبناء الفرد والمجتمع، ويهدف هذا البحث إلى دراسة (بلاغة الاقتصاص في القصص القرآنية المنفردة من تقطيع الأحداث إلى توليد المعاني) مع التركيز على كيفية تحقيق الأغراض البلاغية، والدينية ، فهو أسلوب قرآني يجمع بين الإيجاز والعمق مما يعزز بلاغة القرآن ويخدم أهدافه التربوية، وتعد هذه الظاهرة من أبرز الظواهر الأسلوبية السردية ؛ لأنّها تمثل ملمحًا دقيقًا من ملامح الإعجاز البياني

الكلمات الافتتاحية : الاقتصاص ، القصة ، البلاغة.

*جامعة كركوك/ كلية الآداب قسم اللغة العربية ahmed.jomaa@uokirkuk.edu.iq

المقدمة

الحمدلله ربّ العالمين وأصلي وأسلمُ على خير من بعث رحمةً للعالمين سيدِّنا محمد بن عبدالله الطاهر الأمين وعلى آله الطاهرين وصحبه الغّر الميامين ومن اقتفَى أثرهم وسارَ على نهجهم إلى يوم الدين أمّا بعدُ:

فتعد القصة القرآنية منهلاً عذباً للمعاني والدلالات، وهي شطر من القرآن الذي لا تنتهي عجائبه، وتسير بك نحو البحث غرائبه فهو ضرب من التركيب غير مسبوق، ألفاظه تلامس شغاف القلوب ومعانيه تُهدي العقول، وما يزال مورداً عذبًا تهوي إليه قلوب الأدباء، ويحطُ الرحال عند خصبِ تراكيبه البلغاء، فهو المعين الذي لا ينضب والمداد الذي لا ينفد، والشهاب الذي لا يخمد نوره، والبحر الذي لا يدرك غوره ، فمهما تسابقت إليه الأقلام أو كتبت به المؤلفات، يبقى هذا النص مصدر ثراء كبير للدارسين، فلما كانت القصة القرآنية تحتل مكانة مرموقة في التعبير القرآني، آثرنا الوقوف للغرف من فيض إعجاز التعبير ساعين إلى تحليل قصصه الفريدة بهدف الكشف عن أسراره لذلك رصدنا في بحثنا هذا ظاهرة تعبيرية سردية اخترنا لها عنوانا جاء تحت مسمّى (بلاغة الاقتصاص في القصص القرآنية المنفردة من تقطيع الأحداث إلى توليد المعاني) وقصدنا بالاقتصاص هنا قطع الأحداث التي يفترض أنها جرت في القصة، والكشف عنها من خلال السياق، وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها على مبحثين :

المبحث الأول : تواصلية العنونة وتأصيل المصطلح ووقفنا في هذا المبحث على دلالة المصطلح ومفهومه بدءا من الجذر اللغوي ومرروا بقدماء العرب ومحدثي الغرب.

أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان الاقتصاص في القصص القرآنية المنفردة ، واخترنا نماذج محددة من القصص كعينة لدراسة هذا البحث كون الموضوع يستحق الدراسة بشكل منفرد برسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه لوفرة المادة العلمية في النص القرآني، وما هذا البحث إلا مفتاح

لتلك الدراسة، وقصدنا بالقصة المنفردة تلك التي استقل بها موطن قرآنيٌ واحدٌ ولم يتكرر لها ذكر في سياق آخر وجاء ترتيب التحليل مقسماً بذكر عنوان القصة ومتسلسلا بحسب موقع القصة من القرآن، وهنا تكمن جدية الدراسة فالقصص القرآنية المنفردة لم تفرد بدراسة مستقلة تحت هذا العنوان لذلك كان هذا الدافع لدراسته، ثم أنهينا البحث بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، وختاماً فهذا العمل هو عصارة الفكر وجهد المقل، فإن وفقت فيه فذلك فضل الله، وإن كانت الأخرى حسبي أني اجتهد والله المستعان وعليه التُكلان وصلى الله على نبينا محمد.

المبحث الأول

تواصلية العنونة وتأصيل المصطلح

ـ توطئة :

للعنوان مفهوم نقدي لساني يحظى بأهمية بالغة في الدرس البلاغي الحديث، فهو يمثلُ أول مثير أسلوبي في النص سواء أكان هذا النص نثراً أم شعراً أم خطابًا، وهو مفتاح تقني يُكشَفُ من خلاله عن بؤرة النص المراد دراسته، بوصفه الوحدة الصوتية والصورية الأولى الممثلة لفكرة النص، فضلا عن كونه نظامًا سيميائيا متعدد الأبعاد الدلالية، يمنح تصوراً أولياً بمضمون الموضوع، فهو يمثل مدخلاً دلاليًا لنص كبير، فالعنوان رسالة لغوية أشبه ببطاقة تعريف لهوية النص، وله وظيفة اغرائية تثير تساؤلاً حول ماهية (الاقتصاص)، لذلك من الضروري أنّ ننظر إلى المسألة في إطارها العام، لتوضيح الضابط الذي أدى إلى نشأة هذا المصطلح، ولا يخفى أنّ الدلالة اللغوية في استعمالاتها تشهد إمّا توسعًا في دلالتها، أو تضيقًا، ويتم توسيع الدلالة بطرق متنوعة عدة فينشأ عن ذلك ظهور كلمات متعددة الدلالة ، بينما يؤدي تضيق الدلالة إلى استعمال اللفظة في محيط ضيق لتعبر عن مفهوم خاص في ميدان معرفي معين وهذا ما يفعله المعجم عند حصر

اللفظة في دلالتها المعجمية ، لذلك يمكن أن نعّرف ـ كلمة الاقتصاص ـ في إطارها الضيق بدلالتها المعجمية وأصلها اللغوي ثم بعد ذلك نبين نشأة المصطلح وعلاقته بالألفاظ القريبة منه .

أولا. الاقتصاص مفهوماً ونشأةً:

١. الاقتصاص لغةً: ذكر أغلب علماء اللغة الجذر الثلاثي للمفردة وهو من الفعل (قصّ) المراد به تتبع الأثر أو قطع الشي ، قال ابن دريد (ت٣٢١هـ): "قصّ الشَّيُء بالمقصين يقصه قصًا، وقصّ الحَدِيث يقصه قصصًا وَكَذَلِكَ اقتفاء الْأَثر قصَص أَيْضا" (ابن دريد ، ١٩٨٧، صفحة ١/ ١٤٢)، وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "القافُ والصادُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصتُ الأثر، إذا تتبعته" (ابن فارس، ١٩٧٩، صفحة ٥/ ١١)، وبه قال ابن منظور(ت٧١١هـ)، والفيروز أبادي (ت٨١٧هـ) وغيرهم، فالاقتصاص هو التتبع للقصة بشيء من الانتقاء كما جاء في قول ابن دريد(وقص الحَدِيث يقصه قصصا) أي أخذ منه شيئًا دون شيءٍ.

٢. الاقتصاص اصطلاحاً:

ولو انتقلنا من الدلالة المعجمية إلى دلالة المصطلح فإنّنا نجد أنّ هذا المفهوم ورد ذكره في القرآن بأكثر من موطن وله دلالات عدة ومختلفة منها مايراد بها العقوبة بالمثل أي القطع كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ... وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (البقرة :١٧٨، ١٧٩)، وعلى هذا فالقصاص هو أحد أوجه الاقتصاص فهو يعني بمعناه العدلي هنا المعاقبة على الجريمة بالمثل فهو مصطلح قانوني فقهي، ومن الأوجه الأخرى للاقتصاص ما يراد به الإخبار والحكاية، كما في قوله عز وجّل {تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا} (الاعراف:١٠١)، ويراد به تتبع الأثر، كما في قوله تعالى على لسان أمّ موسى (عليه السلام) :{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}(القصص:١١)، وهناك آيات كثيرة جاءت في القرآن الكريم تدور حول هذه المعاني التي ذكرناها

وعند تتبع المصطلح في كتب المفسرين فإننا نجد أنّ هذا المصطلح لم يستعمل لفظياً من قبل المفسرين القدماء وإنمّا جاء اللفظ بتعبير قريب من هذا المصطلح ويراد به المعنى ذاته ألا وهو (الاقتصار) وهو مصطلح رديف للاقتصاص، ويعد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) هو أول من أشار لهذا الرديف في مجمل حدثه عن قوله عز وجل :{فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً} (الفرقان:٣٦) إذ قال: "حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أوّلها وآخرها، وهما الإنذار والتدمير، ودلّ بذكرهما على ما هو الغرض من القصة" (الزمخشري ، ١٤٠٧، صفحة ٣/ ٣٠٢) وكلام الزمخشري يشير إلى شيء مضمر ومحذوف من الكلام من خلال قوله: اقتصر على ذكر طرفي القصة، فالسياق انتقل من التبليغ إلى التدمير دون المرور بالمشهد الوسطي، إذ لم يذكر الأحداث التي دارت بينهما وإنّما اقتص ذلك من المشهد القرآني، وقد أشار بدر الدين الزركشي (ت٧٤٩هـ) إلى هذا المصطلح في مجال التفسير وخصص له بابًا سماه (الاقتصاص) وذكره صراحة كنوع من فهم آيات القرآن الكريم ضمن سياقها وحالات تكرار النصوص ذاكرا تعريفًا لأبي الحسن بن فارس إذ قال :"هو أن يكون كلام في سورة مقتصًا من كلام في سورة أخرى، أو في السورة نفسها" (الزركشي ، ١٩٥٧، صفحة ٣/ ٢٩٧)، يفهم من كلام الزركشي بالاقتصاص هنا أنّه أخذ نصا من نصٍ آخر ومثل لذلك بأمثلة قرآنية قوله تعالى: {وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧)} (الصافات :٥٧) مأخوذ من قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)} (الروم : ١٦) فالزركشي لم يقصد (بالاقتصاص) هنا قطع الأحداث بالمعنى السردي أو الحذفي، وإنما قصد به الأخذ : أي أنّ القرآن يورد معنىً معينًا في سياق ثم يكرره أو يقتبس جزءاً منه في سياق آخر من دون إعادة القصة كلها، ونحن في مصطلح عنواننا لم نقصد مقصد الزركشي؛ بل قصدنا مقصد الزمخشري المراد منه قطع الأحداث من سياق القصص القرآنية كما بين وهذا استعمال للمصطلح بمعناه السردي البلاغي المقصود منه اجتزاء الأحداث واختزالها ، وهو الذي نقصده في دراستنا

وأثرنا تسميته العنوان بالاقتصاص دون الاقتصار؛ لأنّ مصطلح الاقتصاص اوسع في مكنونه الجذري اللغوي فهو يعني الحكي والسرد والتتبع للأحداث ، أمّا الاقتصار فيعني الاكتفاء بالشيء دون الزيادة ، فكل اقتصار اقتصاص وليس العكس .

أمّا مفهومه عند بلاغيي العرب القدماء: فلم يحظَ هذا المصطلح بتسميته الدقيقة ـ اقتصاص ـ عند القدماء من علماء البلاغة والنقد، وإنمّا جاء في محور حديثهم عن الحذف كمصطلح بلاغي، وقد عنى البلاغيون بظاهرة الحذف عناية فائقة ووقفوا على المزايا والأسرار البلاغية لهذا الفن بدءً من أبي عبيدة (ت٢٠٩هـ) ومروراً بالجاحظ (ت٢٥٥هـ) والرماني، ووصولاً إلى عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، وعند النظر في تعريفاتهم نجدها تتّفق في تعريف مصطلح الحذف: بأنَّه اللفظ القليل الذي تضمن معاني كثيرةً من غير إخلالٍ وهو الإيجاز؛ لأنَّ شرط الحذف لابد أن يكون فيه الإفادة ووضوح الدلالة، ومنها: حذف الحرف، والكلمة، والجملة، وهذا المصطلح وإنْ كان يتفق بجزئية بسيطة مع مصطلح الاقتصاص إلا أنّه يختلف معه من جانب آخر، وهو أنّ الاقتصاص يراد به اجتزاء مشاهد سردية كاملة من دون ذكرٍ للأحداث، على العكس من الحذف الذي يكون بوجود قرينة تدل على المحذوف، لذلك لم نهتدِ إلى تسمية المصطلح عند البلاغيين بقدر ما سموه حذفًا.

بقى أن نشير إلى دلالة المفهوم عند علماء الغرب : إذ يعد (جيرار جنت) أبرز من أشار إلى مفهوم الاقتصاص السردي في كتابه (خطاب الحكاية)، إذ مهّد له من خلال حديثه عن التقانات التي تتصل بزمن الحكاية كالحذف السردي، والإيجاز، والثغرة، والاقتطاع، والمجمل، والتسريع الذي هو على سبيل الاختصار التي تدخل ضمن ما يمكن أن يفهم بوصفه اقتصاصاً سردياَ، ثم ذكر تعريفًا عن الاقتصاص الحذفي مفاده قال: "هي تلك التي لا يُصرَّح في النص بوجودها بالذات، والتي إنما يمكن القارئ أن يستدل عليها من ثغرة في التسلسل الزمني" (جيرار جنيت، ١٩٩٧، صفحة ١١٩)، ثم قسم الاقتصاص إلى ثلاثة أنواع رئيسة بناءً على درجة وضوح الحذف فسمّاها :

IRAQI Academic Scientific Journals turnitin doi Crossref KUJHS

الاقتصاص أو الحذف الصريح، الذي يذكر فيه الحذف بشكل واضح، ثم الاقتصاص الضمني الذي لا يشار إليه بصورة صريحة وإنّما يترك للقارئ أنْ يستنتج وجوده من خلال الثغرات في النص، ثم الاقتصاص الافتراضي الذي يسميه بالحذف الافتراضي: وفي هذا القسم يشير إلى أنّ أحداث يفترض أنها حدثت ولكن لا دليل عليها في النص وهذا هو مغزى الاقتصاص الذي نريد، (جيرار جنيت، ١٩٩٧، صفحة ١١٧ ومابعدها)، أمّا (سيمور شاتمان) فقد مهد للمصطلح من خلال حديثه عن الفرق بين القصة والخطاب إذ سمّى الاقتصاص الذي يجري في القصة اقتطاعاً بمعنى أن السارد هو الذي يختار اختصار أو حذف أو تجاهل مشاهد معينة من القصة الفعلية، وهذا لا يعني أن الأحداث لم تحدث في القصة، بل إنّ السارد كثف الاحداث وصولا للحبكة (SEYMOUR CHATMAN, p. 43)، أما(جان ريكاردو) فقد ميز هو الآخر بين ثلاثة أنواع من الحذوفات، فجعل الأول منها ما يعني المرور على فترات زمنية طويلة يسكت السارد عن وقائعها، ويسمي هذا النوع من الحذف (بالقص)، والقسم الثاني منها سماه الحذف الذي يُلحِق بالقصة السردية فجوة جراء الانتقال من حدث لآخر، أما القسم الثالث فقد عبر عنه بالبياض ولم يعده حذفا؛ بل هدفه هو عملية ابطاء السرد (حسن بحراوي، ١٩٩٠، صفحة ١٥٦)، ولم يختلف (فلادمير بروب، وواين بوث، وميكيل بال) عن سابقيهما، في مفهوم المصطلح ، ومن خلال هذا التنظير نصل إلى نتيجة مفادها أنّه لا مشاحة في المصطلح سواء سميّ اقتصاراً أو اقتطاعا أو اختزالاً فكل هذه الالفاظ تشير في مكنونها الدلالي إلى غاية واحدة في القصة وهو القطع ، ولكن مصطلح الاقتصاص هو أكثر دقة من تلك المصطلحات القريبة منه كونه يشرك القارئ في الأحداث التي يفترض أنّها جرت في القصص القرآنية ولكن القرآن لم يشر لها تركيزاً على جوهر القصة القرآنية بهدف تحقيق أقصى تأثير على المتلقي، لذلك يمكن أن نستنتج تعريفًا للاقتصاص : (بأنّه مصطلح

يطلق على العملية التي يُنتقى فيها جزء معين من المادة المسرودة، الهدف منها التركيز على الموضوع وإزالة التفاصيل غير الضرورية بقصد المساعدة على إظهار الفكرة الرئيسية للنص).

ثانيا . وظيفة الاقتصاص :

للاقتصاص وظيفة أساسية في النص المسرود أيّاً كان نوعه سواء أكان قصة أو حكاية أو رواية، أو حديثاً أو قرآنًا، فلا يخلو هذا الفن من وظيفة يؤديها داخل النص، إذ لا يقتصر دوره على إزالة التفاصيل غير الضرورية في النص فحسب، ولكن له وظيفة أساسية يمكن اجمالها على النحو الآتي:

أ . الإيجاز البليغ وتكثيف المعنى، وذلك من خلال إيصال رسالة شاملة وعميقة بأقل عدد من الكلمات .

ب . من الوظائف التي يؤدها هذا الفن داخل النص عنصر التشويق والإثارة ، فإن الاقتصاص جزء من الأحداث يدفع القارئ إلى التساؤل والتخمين مما يزيد فضوله ورعبته في معرفة ذلك .

ج . كذلك له وظيفة أساسية يؤديها داخل النص وهو التخلص من التكرار والحشو وما ليس لذكره ضرورة .

ثالثًا. مفهوم القصص القرآنية المنفردة:

نقصد بالقصة المنفردة هي التي استقل بها موطن قرآني واحد ، وفي سورة قرآنية فريدة، ولم يتكرر سياقها السردي خارج ذلك الموطن، وقد وردت قصص قرآنية كثيرة وفريدة على هذا الشكل القصصي في القرآن منها: قصة اصحاب الكهف، وصاحب الجنتين، وذي القرنين وقصة أصحاب الأخدود وقصة يوسف (عليه السلام)، وسليمان (عليه السلام) وملكة سبأ، وقصة النمرود وقصة الرجل الذي مر على قرية، وغيرها كثير من القصص القرآنية التي ورد لها ذكر في القرآن الكريم.

المبحث الثاني

الاقتصاص في القصص القرآنية المنفردة

إنّ دراسة القصة القرآنية بوصفها متنًا حكائياً، تعني دراسة مجموع من الأحداث المتصلة فيما بينها دونما ترهل في الكلام وإطناب في التفصيل وتعقيد في النظم، ولا سيّما أنّ ميزة القصص القرآنية على عكس غيرها من الكتب السماوية فهي تتصف بالإيجاز اللغوي المكثف لإيصال الغاية المرادة سواء أكانت الغاية دينية أو تربوية أو عقدية، ويرصد هذا البحث الأثر الجمالي لفن الاقتصاص في الأسلوب القرآني، فضلا عن بيان دقة توظيف الالفاظ في الجمل ولتأكيد الدلالة المرادة من القصص وتركيزها في ذهن المُخَاطب، ولا يخفى أنّ ما لهذا الفن من دورٍ مهمٍ في بنية النص من خلال إظهار الإعجاز اللغوي والبياني من الناحية البنائية للقصة القرآنية ولا يمكن عزل ذلك عن السياق بأي حالٍ من الأحوال ومن هذا المنطلق سنقف على دراسة هذه الظاهرة وأثرها في تجديد المعنى، ويمكن أن نقسم ظاهرة الاقتصاص في القصص القرآنية إلى أنواع حسب القصة منها:

١ـ قصة نبي الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ مع النمرود :

يلعب الاقتصاص إلى جانب الخلاصة دوراً حاسمًا في اقتصاد السرد ولا يخفى إنّ القرآن الكريم يثير ذكاء قارئه فيحذف من السياق ما يستطيع القارئ إدراكه؛ لأنَّ السياق يستلزم ذلك ويستدعيه، ففي الحوار الذي دار بين نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ والرجل الذي آتاه الله ملكًا انطوت كثير من الأحداث لم تظهر في السياق القصصي؛ بل ابتدأت القصة بأسلوب استفهامي تعجبي فيه تعظيم للأمر في قوله ـ عزّ وجلّ ـ :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (البقرة : ٢٥٨). وهذه القصة تحمل بين طياتها اقتصاصًا سرديًا مركزًا إذ لم يذكر القرآن الكريم تفاصيل الرجل الذي آتاه الله الملك، ولم يبين

النص كيفية بدء الحوار وما الذي أثار هذه الحوار، وفي أي مكان دار وهل كان أمام الملأ أم أنّه حوارٌ خاص مغلق بين نبي مرسل ورجل متكبر عاصٍ، كل هذه التفاصيل سكت القرآن عنها عمداً، وكشف الستار أمام مشهد درامي حجاجي من دون ممهدات له، مركزًا على لبِّ الصراع وهي المحاججة حول وجود وحدانية الإله، ولعلنا نكشف عن لثام الأحداث المقصوصة من خلال الإشارات التي يبعثها النص القرآني، فالقرآن الكريم في هذه القصة يقدم إشارة نصية إلى الرجل الذي (آتاه الله الملك)، الذي لم يذكر القرآن اسمه صراحة في هذا الموطن، ولم يذكر تفاصيل حكمه أو اتساع مملكته، أو كيف وصل إلى ذلك المُلك؛ لأنّ ذكر هذه الأشياء لا يزيد من العبرة التي تمثلها الآية شيئاً، "ولو شاء الله لأفصحَ عنها، ولو كانت حكمة النص لا تتحقق إلا بهذا الإفصاحِ ما أهملهُ في القرآن" (سيد قطب ، في ظلال القرآن، ١٤١٢، صفحة ١/ ٢٩٩)، لذلك أعطى التعبير إشارة مركزة موجزة تغني عن كل هذه التفاصيل المشار إليها بعبارة غنية تحمل في جوهرها كل هذه الأحداث وهي جملة (آتاه الله الملك)، إذ إنّ هذا التعبير بهذا السياق كافٍ للدلالة على بيان سلطته وجبروته وقوته وبيان مدى غروره، فالتعبير لم يركز على تلك المسميات؛ لأنّ القارئ للنص ضمنًا يفهم أنّ هذا المُلك جعله يظن أنّه قادر على ادعاء الربوبية، ولو تمعنا بعمق عقلي وفني في سياق القصة لوجدنا أنّ السبب الذي دفع (النمرود) كما يسميه المفسرون للتجبر والطغيان هي مدة بقائه في الحكم فلربما لبث مدة غير قليلة في حكمه حتى نسيّ الموت فغلب على ظنه أنّه مخلد وأنّه هو الإله وأنكر أن يكون ثَّمة إله غيره ، وهذا ما قاله ابن كثير(ت٧٧٤هـ): "قال : وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره، وطول مدته في الملك؛ وذلك أنّه يقال: إنّه مكث أربعمائة سنة في ملكه؛ ولهذا قال: {أن آتاه الله الملك}" (ابن كثير، ١٩٩٩، صفحة ١/ ٦٨٦)، لذلك لما واصل نبي الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ دعوته واجه هذا الرجل في مملكته بعد تحطيم الأصنام؛ لأنّ الحوار كان مباشراً بينهما، والملك لا يحاور إلا في مجلسه؛ ولأنَّ سياق المحاججة في

الآية جاء في موطن جواب لسؤال لم يظهر في التعبير، فالحجة التي بدأ بيها ابراهيم ـ عليه السلام ـ جاءت بعد دلالة زمنية من اللقاء بدليل (إذ) وكأنّ السرد المقصوص فيه إشارة إلى سؤال الملك الطاغي لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بعد أن دعاهم إلى وحدانية الله، فكأنَ في النص سؤال مضمر مفاده (من ربك الذي جئت لتدعونا إليه ومامعجزاته؟) فكان جواب نبي الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} بأسلوبٍ خبري يفيد العموم، وهذا ما بينه الرازي بقوله: " الظاهر أن هذا جواب سؤال سابق غير مذكور، وذلك؛ لأنّ من المعلوم أنّ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بعثوا للدعوة، والظاهر أنّه متى ادعى الرسالة، فإنّ المنكر يطالبه بإثبات أنّ للعالم إلهًا ألا ترى أن موسى ـ عليه السلام ـ لما قال: {إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ} {الزخرف: ٤٦}، {قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ} {الشعراء: ٢٣} فاحتج موسى ـ عليه السلام ـ على إثبات الإلهية بقوله: {رب السماوات والأرض} فكذا هاهنا الظاهر أنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ ادعى الرسالة، فقال النمرود: من ربك؟ فقال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، إلا أنّ تلك المقدمة اقتصت؛ لأن الواقعة تدل عليها، من خلال الجواب" (الرازي، ١٤٢٠، صفحة ٧/ ٢٢)، فأراد هذا الملك أن يخفت هذه الدعوة ويبطلها بقوله: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} بأسلوب جاحدٍ ومنكر لنعمة أنعم الله بها عليه، وهذه الجملة هي بيان وتوضيح لكلمة (حاجّ) والتصريح بالضمير (أنا) ثم فعل المضارع (أحيي) والعطف (وأميت) فيه نوع من التفاخر بالنفس والتحدي الزائف من خلال الجرس اللفظي المتكرر لحرف (الألف) في الألفاظ التي توحي بالتعاظم وإظهار صفة الغرور، وهذا التعبير فيه ادعاء وتكبر حيث جعل من نفسه نداً لله، فضلا عن ذلك أنّ القرآن الكريم لم يوضح الطريقة التي ادعى بها النمرود قدرته على الإحياء والإماتة؛ لأنّها ليست هي جوهر المناظرة فحسب، إذ إنّ ادعاء النمرود لهذه الثنائية ما كانت إلا محاولة لمجاراة حجة ابراهيم ـ عليه السلام ـ بصرف النظر عن طريقة التنفيذ، وقد بينّ هذا الرد المختصر من النمرود ضحالة تفكيره فلم يقل كيف يحيي ويميت ربك؟ ؛ إنمّا أدّعى القدرة المجردة فإحياؤه وإماتته لم تكن إلا بقتل بريء

واطلاق سراح آخر، وهو ليس إحياء وإماته حقيقية، لذا فإنّ القرآن ترك تلك المساحة للمتلقي يستنتج هذا الفرق بين الحقيقتين من دون تفصيل، فكان التركيز في التعبير القرآني على فشل حجة النمرود لا على طريقة تمثيله، فاقتصَّ بيان الأحداث لهذه الطريقة من النص، واكتفى التعبير بالإشارة لتلك الحادثة تاركاً للقارئ استنتاجها، وموجهًا إياه إلى الرد المفحم من قبل نبي الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ بإسلوب جاء متماشيًا مع سياق الحجة وهو أسلوب الفصل إذ لم يعطف جملة قول ابراهيم ـ عليه السلام ـ على سابقتها{قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} للتأكيد على عظمة الله (سبحانه وتعالى) فهو الذي يحيي ويميت وبيده ملكوت كل شيء، لتكون تأكيدًا ضمنياً للجملة الأولى، لذلك عدل نبي الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ من معارضة النمرود بعد أن زعم أنّه يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله . تعالى . فنقضه ابراهيم . عليه السلام . فانتقل مباشرة إلى دليل كوني عظيم لا يمكن لأحد أن يدعيه أو يجاريه فنقل الحجة من مثال خفي غيبي . وهو سر الحياة والموت ـ إلى مثال جلي مشاهد ثابت يُرى كل يوم لكن يعجز عن الإتيان به غير الله، فعدل ابراهيم ـ عليه السلام ـ في بنية التركيب من الجملة الابتدائية (ربي يحيي ويميت) إلى جملة خبرية مؤكدة موجزة وبأسلوب عرضي أخرج النمط التركيبي من معناه الأصلي وولّد عنه معنى آخر يراد منه التعجيز، وسياق هذه الآية دلت على حوارٍ مقصوصٍ من النص ليبقي للمخاطَب دورًا يشكله بنفسه كي يتواصل ويتمعن في استجلاء معاني النص ويمكن أن نستنتج قولاً من ذلك الحوار المقصوص لإبراهيم ـ عليه السلام ـ مفاده فإن كنت تدعي أنّ الحياة والموت وهي من صنيعك وقدرتك، {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ}، ولو تمعنا النمط التركيبي لمحاججة نبي الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ نلحظ أنّ الجملة جاءت مقرونة (بالفاء) الرابطة الداخلة على حرف التوكيد (إنّ) لتدل على التعقيب والترتيب والسببية، فقد أظهر هذا الحرف ربط هذه الجملة معناً بالجملة السابقة (ربي يحيي ويميت)، ثم مثل الفعل المضارع (يأتي) جواً بلاغياً لا يدل

على مجرد حدث وقع في زمن مضى أو سيقع في المستقبل فحسب؛ وإنمّا أشار التعبير إلى الاستمرارية والتجدد الدائم لهذا الامر يومياً فهو نظام كوني ثابت ومستمر، فضلاً عن ذلك فإنّ الفعل المضارع هنا ولدّ معنى جديداً يراد منه أبرز الحضور الدائم للقدرة الإلهية المطلقة، ثم تمم التعبير بجملة طلبية استعملت كأداة قوية لإفحام الخصم وإظهار ضعفه واعجازه المطلق أمام قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهي بمثابة ضربة قاضية تولد عنها العجز التام وهذا الاستدلال لا يجد الملك له وجهًا يتخلص به منه لسهولة تصور تلك الادلة بحيث لم يستطع انكارها لوضوحها وسرعة فهمها، واختيار كوكب الشمس في سياق التعبير هنا وفي هذا المقام من دون غيرها من الكواكب جاء أبلغ وأنسب؛ لأنّ الشمس مصدر الحياة على الأرض بها يستمد الإنسان والحيوان والنبات وجودهم وطاقتهم، وهذه الحجة تتناسب تماما مع الحجة الأولى لنبي الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ حول الإحياء والإماته، ولا يخفى ما للحروف من دور في توليد المعنى ومن هذه الحروف حرف التوكيد (إنّ) الذي جاء في سياق التركيب ليرسخ الفكرة في الذهن ويؤكد الخبر قولاً ومعنى، وأفاد هذا الحرف في توظيفه هنا معنى جديداً يراد منه القطع واليقين والثبات في كون الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو المتفرد بقدرته على الإتيان بالشمس من مشرقها وإحياء الموتى، ولا يستطيع أحد أن يشاركه أو ينازعه في هذه القدرة، ثم إنّ إظهار لفظ الجلالة (الله) في سياق الجملة الثانية دون قوله: (فإن ربي)، فيه توجيه لمخاطبة العقول عامة دون الخاصة، ففي الآية الأولى كشف نبي الله ابراهيم كشفًا تعريفياً عن هوية ربه بأنّه هو المتفرد بالإحياء والموت، فلما جاء النمرود بحجة واهية انتقل نبي الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ في حواره إلى حجة كونية ظاهرة فقال: (فإنّ الله) ولم يقل: (فإنّ ربي) حتى لا يفهم من السياق أن الحديث عن ربّ ابراهيم بشكل شخصي أو ديني خاص لذلك عدل إلى إظهار اسم لفظ الجلالة (الله) للدلالة على العموم أنّ الله هو ربي وربكم ورب العالمين جميعهم، وهذا الانتقال البلاغي كان حاسمًا للجدل وأظهر العجز التام للملك الطاغي وأفحمه بحيث لم يستطع

التبرير لهذه الحجة كما برر للحجة الأولى، وقد كشفت هذه الحجة عن تعابير الوجه التي اصابت الملك في تلك اللحظة وعن الحالة النفسية التي انتابته فجاء الرد بتعبير موجز مكثفٍ الدلالة بكلمات ثلاث حسمت فيه تلك القضية {فبهت الذي كفر}، إذ وظف التعبير لفظة دقيقة جداً وهي لفظ (بهت) تلك اللفظة التي اختصرت وبيّنت حالة الذهول الذي سيطر على الملك فأُلجم فلم يستطع النطق بعدها فضلا عن أنّها أظهرت العجز التام وكشفت عن الفضيحة التي جاء بها وهي التمثيل في مسألة الحياة والموت، فهذه اللفظة بمثابة صعقة كهربائية لجسده وصدمة عقلية لفكره ولطمة قوية في وجهه، فضلا عن دلالتها النفسية العميقة إذ لا يمكن لأي لفظة أن تقوم مقامها أو توضع مكانها كلفظة (فخجل أو فاعترف بالحق وغيرها من الألفاظ)، لذلك قصر النص على بلاغة النهاية في هذه العبارة وبهذه الكلمة لتجمع معاني متعددة وكثيرة وبأقصر عدد مكمن من الجمل، وقد أظهر مجيء التركيب بصيغة الفعل الذي لم يسمّ فاعله(بُهِتَ)، استحقارًا للمتكبر، وحتى يكون التعبير عامًا لكل من تسول له نفسه بالتكبر والطغيان وعلى مر العصور والأزمنة، "فالعبارة هنا اختيرت لسبك تركيبها ووضوح معناها، ولمناسبتها للغرض، ولحسن جرسها ثم لانسجامها مع بيئتها من السياق وتفضيلها بعض المفردات على بعض" (حسان، ١٩٩٣، صفحة ٣١٩، ٣٢٠)، فالقرآن يتأنق بأسلوبه في اختيار ألفاظه، "ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، فيستعمل كلاً حيث يؤدى معناه في دقة فائقة، تكاد بها تؤمن بأنَّ هذا المكان كأنَّما صنعت له تلك الكلمة بعينها، وأنّ كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذى وفت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداءً، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفًا؛ بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديد" (أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي ، ٢٠٠٥، صفحة ٥١) فبلاغة التركيز في هذه القصة إنمّا جاء على ذكر اظهار فاحشة التكبر والطغيان واندثارها أما طريق الحق، ويظهر من كل ما سبق أنّ الحوار كان بعد القاء نبي الله إبراهيم في النار فلما قال له نبي الله إن لله يأتي بالشمس من المشرق لم يقل أنا

افعل ذلك ولم يقل فليأت بها ربك من المغرب؛ لأنّه علم عين اليقين أنّ الذي أخرج ابراهيم من نار لاهبة قادر على أنّ يأتي بالشمس من مغربها فبهت وسكت .٢. قصة الرجل الذي أماته الله مائة عام:

تبدأ أحداث هذه القصة لرجل خرج من قريته قاصداً مكانًا ما لم يفصح عنه النص القرآني بدليل الحمار والطعام الذي كان معه؛ وإذا هو أمام مشهد مباشر يثير التساؤل لقرية أصابها الخراب والدمار وإنْ لم يبين النص نوع الدمار وإنما جعله مبهماً وبإسلوب مقصودٍ فالنص هنا لم يقصد الشخص بعينه بقدر ما هو نموذج لكل إنسانٍ قد يتأمل مصير الأمم، فالنص وصف لنا المشهد وصفًا حيوياً يبين لنا كمية الدمار والخراب الذي حلّ بتلك القرية، وهو مشهد بصري للغاية لقرية غير معروفة مدمرة تماماً هوت سقوفها وجدرانها على بعضها، والتعبير بهذا الأسلوب فيه رمزية للموت والاندثار المطلق، ووصف المشهد بهذا الأسلوب لا يترك مجالاً للشكِّ في استحالة الحياة فيها، إذ جسد الاقتصاص البلاغي السردي في هذه الآية قمة البلاغة القرآنية في الإيجاز والتصوير الحي فكأنّك أمام شاشة تعرض لك الخراب والدمار والجفاف وتفطر الأرض وقحالة الأشجار وكيف أنّها أصبحت حطبًا يابسًا، ويمكن تصور ذلك من خلال الالفاظ (خاوية على عروشها)، فالمراد من هذا التعبير خلو هذه القرية من الحركة والحياة فلا خضرة، ولا نمو، والذي عظم صورة هذا المشهد طرح التساؤل الإنساني من قبل الرجل لشدة مارأه ليكون هذا التساؤل هو منطلق الابتداء الذي تبدأ منه القصة، وما هذا التساؤل إلا لانعكاس المنطق البشري المحدود، فقد استهل النص القرآني القصة بأفعال كلامية غير مباشرة موجه إلى الرسولﷺ في قوله عزو جلّ {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ

قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(البقرة ٢٥٩)، فأول ما يطلعنا في النص أسلوب الاستفهام الموجه إلى نبينا الكريمﷺ بطريقة التشبيه الذي يراد منه فعل كلامي منجز متضمن في القول معنى التعجب بمعنى (أريت حال الذي مرّ على قرية) والتعبير بهذا الأسلوب جيء به لغرض يراد منه تقديم وصف للفضاء المكاني الذي جرت فيه الأحداث وهي القرية المدمرة، وقدمت هذه الصورة في التعبير أحداثاً متنوعة في فترة زمنة مضغوطة تحمل في طياتها معاني دلالية عميقة لنبي لم يذكر اسمه أو رجل صالح أماته الله مائة عام ثم أحياه ومن عجائب القرآن أنّه جمع قصتين منفردتين متتاليتين في سياق واحد وهي قصة الذي حاج نبي الله ابراهيم . عليه السلام . التي أشرنا لها في النص السابق، وقصة هذا الرجل الذي مرَّ على قرية ولكل قصة من هاتين القصتين موضع مستقل في السورة وعطف هذه القصة على التي قبلها بحرف العطف (أو) أريد منه العطف على المعنى لا على الاعتقاد، فالأولى جاءت بصيغة الحوار لنبي مرسل مع رجل كافر، والثانية جاءت لتثبت قلب رجل مؤمنٍ بصورة مدركة حسية وكلا الآيتين تحدثت عن ثنائية الحياة والموت، لكن الآية الثانية كانت لإظهار عظمة الله . سبحانه وتعالى ـ، فكان السؤال في سياق الذي مرّ على قرية سؤال استعظام وليس سؤال استنكار أو استبعاد ويبدو أنّ السؤال كان منولوجيا داخليًا وهذا آكد للتعبير؛ لأنّ الله يعلم ما تخفي الصدور، وهذه الآية من هذه السورة تعد تحفة بلاغية تُظهر عظمة القرآن وإعجازه وتصّور قدرة الله الباهرة بأسلوب حيٍّ ومباشرٍ، لذا عطف هذا النص على سياق الآية السابقة لتكون مبينة لقدرة الله على إظهار الحياة بعد الموت وبأسلوب التشبيه المضمر الذي ابتدأت به الآية ليكون هذا التشبيه مثالاً آخر وحجة بينة على تلك القدرة وبياناً لتلك المعجزة ، فالمتكلم فيها هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ والمخاطب هو الرسولﷺ، وترسم هذه القصة لوحات بيانية تنتقل بالقارئ من مشهدٍ إلى آخر، وتثير فيه التأمل والدهشة فتجعله يقف متسائلاً عن طبيعة الحدث وعن عناصر القصة وشخوصها وأماكنها، فالتعبير كشف عن حدث آخر من دون إخلال بالمشهد فعند

قراءة النص ينقلنا القرآن إلى مشهدٍ آخر يختلف عن طبيعة المشهد الأول اختلافاً جذرياً فالأشخاص والمكنة تختلف عن بعضها اختلافا تاماً وكلا المُحَاورَين غير معروف وهذا من عجائب الإعجاز القرآني في عرض المشاهد، فبعد أن اسدل الستار عن مشهد الأحداث الجدلية التي دارت بين نبي الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ وذلك الرجل الكافر، رفع التعبير القرآني الستار عن مشهد آخر يعرضه بأسلوبٍ خبري مشوق ذاكرًا الشخصية بالاسم الموصول (الذي) من دون الافصاح عنه ليجعل القارئ أمام ابهام أولي يدعو المتلقي إلى التساؤل عن هوية هذا الرجل أهو رجل صالح أم أنّه نبي اختاره الله لأداء رسالة سماوية تبين جدلية الحياة والموت؟ هذا التساؤل من قبل المتلقي للنص يثير فيه عنصر التشويق وهو معنى متولد في الذهن مما يجعله يستنتج ذلك بنفسه من خلال القرائن المصاحبة للنص، منها الحوار بعد البعث من الموت ، وهذه بحد ذاتها تدل على نبوة الرجل، فضلا عن حذف الفاعل بعد القول إذ يحتمل هنا أنّ الذي سأله عن اللبث بعد الموت هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ فقدرة الإماتة والبعث والسؤال عنها لا تكون إلا لله، ويحتمل أن الله بعث له ملكًا فحاوره فحذف الفاعل هنا لم يزد من أبهام المشهد؛ بل زاد من جمالية الآية وعمقها، فقد جعل المتلقي يدرك المعنى من دون حاجة إلى تصريح مباشر، فالقصة لم تركز على الشخوص والمحاورات بقدر إيصال قصدية الإعجاز في ثنائية الحياة والموت، ولا يخفى أنّ القصة اختزلت لنا فترة زمنية طويلة بدأت احداثها من مرحلة التحويل من خلال استفهام آخر أثاره العبد الصالح، ولابد أنّه رأى شيئاً لافتاً للنظر فجعله يتساءل بقوله: {قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا}، وهذا التساؤل هو مفتاح لسلسلة أحداث خارقة متوالية في السياق، إذ إنّ هذا المنظر أثار في الرجل تعجبًا فأظهر سؤاله هذا دلالة الانفعالات النفسية التي حيكت في صدره، وتولد منها عدة معاني: ربما أراد من ذلك التساؤل تحقيق غرض إنجازي هو إظهار التشويق إلى بناء تلك القرية، أو ربما ينشئ إقراراً بالعجز عن معرفة طريق الأحياء، أو أنّ التساؤل كان استعظاما لقدرة المحيي، أو أنّه أراد أنْ يعاين الأحياء كما طلب

ذلك نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ أو أنّه تساءل عن إحياء أهل القرية فتساؤله هذا يوحي للقارئ أنّه رأى عظام أهل هذه القرية وجثثهم البالية بتقدير المضاف (أنى يحيي الله أهل هذه القرية) وهذا التأويل محتمل؛ لأنّ في إحياء الناس يترتب عليه إحياء القرية، فالإنسان هو باعث الحركة التي تعمر الوجود، لذا فإنّ كل هذه التأويلات هي معان متولدة لتلك الأحداث وهي محطة تفسيرات يحملها النص وكل واحدة منها تصح أن تكون جوابًا عن هذا التساؤل، وهذه التأويلات تدل على أنّ الرجل كان مؤمنًا بحق، فهو لا يشك في قضية الإحياء والإماتة من الله وإنمّا تعجب من القدرة وأراد أن يعرف الكيفية، وإذا بالرد الإلهي الفوري من خلال التعقيب المباشر الذي كشف عنه حرف (الفاء) في قوله تعالى : {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ} ليكون هذا التحول هو محور الجواب عن تساؤله، فالجواب جاء فوراً ولم يكن هناك أي اقتصاص زمني طويل، فكأنّ حرف (الفاء) غيب الفاصل الزمني وأظهر قصدية الحدث ووقعه من دون تأخير، فما أنْ تعجب الرجل وتحدث بتساؤله حتى كانت القدرة الإلهية على الإماتة والإحياء أسرع من دون تدرج للموت، وكأنّ القدرة الربانية أجابت عن ذلك التساؤل بالفعل لا بالقول، ثم جاء حرف التراخي (ثم) بعد التعقيب متماشيًا مع النص إذ أفاد استعمال حرف العطف هنا تدرجًا في اظهار القدرة الإلهية بعد الموت، فالقدرة الأولى جاءت بلا مهلة (فأماته) للدلالة على سرعة تنفيذ الموت، والقدرة الثانية جاءت بعد تراخٍ زمني وهذه أبلغ في التعبير توظيفًا ؛لأنّ التراخي أظهر للإعجاز في إحياء الموتى بعد زمنٍ طويل، ويبدو أنّ الموت كان موت نومٍ لا موت برزخٍ، بدليل قوله: {قال كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}، وهذه الجملة جاءت بعد "استئنافٌ مبني على السؤالِ كأنَّه قيلَ: فماذَا قال له بعد بعثه فقيل قال : {كَمْ لَبِثْتَ} ليُظهرَ له عجزه عن الإحاطة بشؤونه تعالى (أبو السعود العمادي، صفحة ١/ ٢٥٣)، وهذه الجملة توحي إلى اقتطاع حواري ويمكن أن يكون هذا النص هو جزء من شيء أكبر أو حوار أطول في القصة، قد يكون أنّ الرجل تساءل بعد افاقته من الموت وتحاور مع من سأله عن كيفية وصوله

إليه وكيف ظهر ومن أي مكان جاء، حتى تواصلا في الحوار عن مدة اللبث، لكنّ القرآن لم يركز على ذلك حتى لا يفضي الاشتغال بذكر ما ليس مهم وتفويت ما هو أهم، فتفاصيل الحوارات التمهيدية أو التحايا لم تكن ضرورية في سياق التعبير؛ لأنّها تفقد التركيز على النقطة الأساسية والغرض الرئيس الذي سيقت من أجله القصة وهي إظهار قدرة الله ـ تعالى ـ على البعث بعد الموت، لذلك تجاوز القرآن ذلك التمهيد وقفز بالنص لإظهار السؤال المباشر عن مدة اللبث، وإذا بالجواب يأتي من الرجل بحسب الإدراك الزمني المحدود عنده وجوابه جواب متشكك (يوماً أو بعض يوم) والذي جعله يجيب بهذا الجواب هو غياب كثير من العوامل الحسية المدركة منها غياب الشمس وشروقها، كذلك توقفت عنده التفاعلات البشرية التي تشعره بمضي الأيام والأحداث الزمنية، فضلًا عن ذلك التدرج العمري والتغيرات الجسدية فيبدو أنّ الرجل مات بعمر معين وبعث بذلك العمر من دون تغير لشعره ولونه وقوته فلم يشعر بكهولة ولم يشعر بفتور، فذلك كله متناسب بما هو محدود عنده من الزمن فجعله يجيب ذلك الجواب هذا من جانب، من جانب آخر أنّ إجابة السائل له جاءت تُفصّل مدة لبثه من خلال التعبير بقوله:{قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ} وهذه الفترة الزمنية الطويلة اقتصت من سياق التعبير أحداثًا كثيرة لم يذكرها القرآن ولربما من هذه الاحداث تولد تعجباً آخر عند الرجل فتولدت عنده تساؤلات كثيرة في ذهنه دارت حوارات حول تلك المدة فحرف الاضطراب (بل)، حرف انتقالي حيث نقل المدة الظنية عند الرجل الذي عبر عنها بناءً لإدراكه المحدود للزمن إلى مدة حقيقية مدهشة تظهر عظمة القدرة الإلهية التي تفوق إدراك البشر، إذ أضفى هذا الحرف عنصر المفاجأة عند المتلقي وبرهن عظم المعجزة الإلهية وأظهر القدرة المطلقة التي لا تخضع لقوانين الإدراك البشري، أو مرور الزمن المعتاد، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ فوق الزمن لا معه، وحرف العطف هنا جاء مقدرًا أي ما لبثتَ ذلك القدر؛ بل لبثت هذا المقدار مائة عامٍ وهذا الوقت المطوي من العمر يمكن أن يحدث صدمة عميقة لدى المتلقي إذ يمكن تخيلها من عدة زوايا فهي ليست مجرد معلومة

محددة بالزمن المنقضي؛ بل إنّ في التعبير تكثيف للصدمة النفسية، والاجتماعية ، والروحية ، والوجودية، فالحياة غير حياةٍ، والمجتمع بعد مرور هذا الوقت غير مجتمع ، كل هذه الجوانب تتضافر لتجعل من هذه العبارة القرآنية العظيمة {بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ} تعبيراً مكثفًا عن صدمة لا يماثلها شيء، لذلك مهّد القرآن إجابات مباشرة للتأكيد على انقضاء تلك المدة وحتى لا يبقى في ذهن السامع تساؤلات حول تلك المدة الزمنية(مائة عام) دفع التعبير كل ذلك الشك والتعجب باليقين من خلال اسلوب التعقيب والتوجيه فكأنّ (الفاء) هنا جاءت لتفسير قولٍ مقصوص يمكن تأويل معناه: فإذا أردت التأكد مما يقال لك فانظر إلى طعامك وشرابك ليكون بمثابة دليل محسوس مادي يزيل كل شك ينتابك، فحرف الربط هنا جاء كنتيجة للصدمة أي ـ انظر عاجلا لغذائك ـ لم يتغير ولم تمره السنون، ثم جاء بحرف العطف (الواو) ليحمل دلالات ومعاني بلاغية عميقة تولدت من خلال التوظيف هنا في قوله تعالى {وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا}، إذ ليس الوظيفة هنا لهذا الحرف هو العطف والتشريك فقط؛ بل إنّ العطف هنا جاء ليبين المغايرة بين المعطوفين من خلال الفارق الزمني فالسياق الأول فيه دلالة انقباض للزمن والثاني فيه دلالة انبساط للزمن فبلاء لحم الحمار مر به زمنٌ حتى بلي ورُمَّ ، وكأنّ الزمن توقف عن الطعام والشراب ومضى على الحمار والعظام وهذا العطف لم يكن إلا لإظهار عظمة الباري وقدرته الإلهية في التصرف في الزمن، ولو كان التعبير ببقاء الحمار حيًا لما جاءت الآية بالقوة نفسها، لذلك يمكن القول : بأنّ حرف (الفاء) هنا في سياق الآية جيء به للتسريع وتأكيد الدليل المباشر بعد الصدمة والمفاجأة عند الرجل، بينما جاء حرف (الواو)، ليظهر تباين قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ العظيمة على حفظ اشياء وإفناء أخرى، وما ذلك إلا دليل حق على البعث بعد الموت، فضلا عن ذلك فإنّ الربط بحرف (الواو) هنا حدد معالم الجواب الذي يدور في خاطره ، وأنقذ الرجل من براثين الشك ووسوسة النفس، إلى مشهدٍ حيّ يمثل له طبيعة الخلق والتكوين فما

IRAQI Academic Scientific Journals turnitin doi Crossref KUJHS

تبين له ذلك البرهان والحقيقة قال :{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} وهنا حذف فاعل (تبين) ليذهل العقل كل مذهب يحتمل أن يكون في موطن الفاعل، قد تكون تبينت له الحقائق أو المعجزات أو الدلائل وقرء بوجه من القراءات (إعلم)، بصيغة الأمر وهذا يحتمل توجيها على هذه القراءة بأنّ الله على كل شيء قدير، ويحتمل أنّه خاطب نفسه بهذه القراءة إعلم (يا عزير)، إنّ الله على كل شيء قدير، لذلك يمكن القول : إنّ التعبير اختزل زمن القصة ليكون أقل من زمن الحكاية ، فسرد أحداث ووقائع يفترض أنّها جرت بسنوات أو شهور. وأختزلها في صفحات أو سطور أو كلمات قليلة دون التعرض للتفصيل، وهذا التلخيص منح للقصص القرآنية سمتي الاختزال والتكثيف من دون الإخلال بالجو العام للقصة القرآنية، وهذه دلالة على بنية التركيب الإعجازي لِلُغة لقرآن الكريم.

٣. قصة أصحاب الكهف :

تتجلى ظاهرة الاقتصاص في القصص القرآنية لأغراض كثيرة منها انتاج المعاني، والتكثيف العباري، وغيرها من الأغراض البلاغية، وهذا كثير في القرآن الكريم ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر قصة(الفتية) في سورة الكهف، وآثرنا تسميتها بالقصة المغلقة؛ لأنّها لم يتكرر سياقها السردي خارج ذلك الموطن، إذ قُدمت هذه القصة بأسلوبٍ مكثف وإيجاز سريع مع المحافظة على مضمون القصة، ولا يخفى أنّ هذه القصة أضمرت كثير من الأحداث في السياق القرآني ولم تبينها، إذ لم يُذكر عدد الفتية وأعمارهم ولم تُذكر الحوارات التي دارت بينهم وبين الملك الظالم، ولم تبين طريقة خروجهم من ديارهم، وكيف أنهم عاشوا الصراع النفسي وهم يواجهون خطر الظلم، وكم مدة لبثهم ومنامهم كل هذه التفاصيل سكت عنها القرآن الكريم ولم يفصح عن تفاصيلها في هذه القصة العجيبة، وهذا السكوت لم يكن لغرض الاقتصاص الذي لا فائدة من ذكره في القصة، أو لتسريع السرد والحدث فحسب؛ وإنمّا كان وراء هذا الحذف أغراض بلاغية متولدة لكثير من المعاني منها:

إثارة ذهن المتلقي وتوجيهه للتأمل في القصة، فضلا عن الإيجاز البليغ مع الحفاظ على عمق المعنى، وهذا النوع من الاقتصاص يولد دلالات إيحائية عميقة، إذ يترك للمتلقي استنتاج بعض التفاصيل، مما يجعله أكثر تفاعلا مع النص القرآني فبعد أن تحدث القرآن عن الفتية الذين آمنوا وزادهم الله هدى وربط على قلوبهم وثبتهم نقف متأملين قوله تعالى :{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً} (الكهف:١٦)، نلاحظ أنّ أحداث قصة الفتية هذه تبدأ مباشرة بعد الحديث عن شخص النبيﷺ وبأسلوب حدثي مكثف يمكن أن نطلق عليه (حركة تكثيف الحدث) التي تجري لتركيز الانتباه على شيء محدد لذلك جاءت قصة الفتية وفق حركة انتقالية انطلقت احداثها بين البداية والنهاية من دون المرور بالحركة الوسطية للأحداث، ولعل الغرض من هذا تولد معنى دلالي يراد منه تخفيف الضغط العاطفي وتسلية الرسول ﷺ بعد الحزن الذي أصابه على أبناء جلدته ولتذكيره بالبلاء والصبر عليه، فكل ما على الأرض من زينة إنّما جعل للابتلاء والاختبار، لذا جاء السرد سريعًا في القصة للتركيز على العبرة منها، ولتثبيت الرسول ﷺ والربط على قلبه لإكمال الرسالة، فهناك توافق ربطي ما بين قصة الفتية وشخص الرسول ﷺ من حيث السياق القرآني والمعنى العام فوجوه الشبه بينهم يبدأ من (التوحيد) فهم فتية آمنوا بربهم في بيئة مشركة، والرسول ﷺ دعا إلى التوحيد في مكة، كذلك من أوجه المشابهة بينهم (الاضطهاد) فالفتية واجهوا ظلم الملك وبطشه، والرسول ﷺ واجه أذى قريش وبطشهم، هم لجأوا إلى الهجرة وترك الديار والأحباب فخرجوا وهاجروا إلى كهفٍ خارج ديارهم ، والرسول ﷺ خرج من دياره مهاجراً إلى المدينة، وكلا الجانبين فيهما تثبيت على الدين ومواجهة لقوى الشرك، وكأنّ هذه القصة تمهد لأحداث الرسول ﷺ في تبليغ الرسالة، ولو تأملنا في سياق الآية الكريمة نلحظ أنّ في السياق إيجاز مركز من دون تفصيل لهذه القصة، إذ الآية لم تبين سبب الهروب والاضطهاد، أو حتى النقاشات التي دارت بينهم كما أشرنا، بل انتقلت القصة انتقالا سريعًا

إلى الأمر الإلهي {فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ}، الإيجاز هنا يحفز ذهن المخاطَب لاستحضار الأحداث في القصة منها (الخوف، الظلم، الحاجة إلى مكان آمن)، ومما يلفت الانتباه في سياق الآية هنا صيغة الأمر التي جاء مقترنة بالفاء لبيان اعتزال القوم بلا مهلة، وفي فعل الامر (فأووا) لم يصرح التعبير القرآني بذكر الفاعل هنا، وإنّما أسند إلى ضمير المخاطبين (أنتم) مما يثير تساؤلاً هنا من الذي أمرهم بالإيواء هل كان ذلك وحياً أو إلهاماً أو قولاً متناقلا بينهم؟ بيّن المفسرون في ذلك عدة أقوال منهم ابن عاشور الذي يرى أنّ القول كان منهم و"متناقل بينهم على جهة النصح والارشاد والمشورة، ويحتمل أن يكونوا قال بعضهم لبعض ذلك بعد اليأس من ارعواء قومهم... بأن غيروا الخطاب من مواجهة قومهم إلى مواجهة بعضهم بعضًا، وهو ضرب من الالتفات" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ١٥/ ٢٧٦)، ويحتمل أنّ يكون ذلك إلهاماً من الله عزّ وجلّ لهم، والذي يطمئن إليه القلب أنّ لجوء الفتية إلى الكهف كان نتاج قرار جماعي وحوار بينهم، وكان مدعومًا بتوفيق وإلهام إلهي غير مباشر لم يوحَ إليهم؛ لأنّهم ليسوا أنبياء أو رسل؛ لكنّه تداخل مع الوعي البشري فيُبقي الفعل البشري حراً ومسؤولاً من دون نفي للتوفيق الإلهي، والذي يكشف عن ذلك قرينة السياق ويؤيد أنّ الحوار كان نابعاً بينهم بدليل أنّ فكرة الكهف ربما كانت معهودة عندهم والذي يشير إلى ذلك وجود (ال العهدية) الداخلة على لفظة الكهف علمًا أنّ الكهف هنا ذكر للمرة الأولى من دون سابق لذكره، فـ(ال العهد) هاهنا عاد ليس إلى ما مذكور لفظًا؛ بل إلى ما مذكور ذهناً، وهذا دليل إشارة من النص القرآني هنا فالتعريف يشير إلى أنّهم كانوا يتعبدون فيه من قبل مواجهة الظلم لذلك كان أمر الإيواء إليه مقصوداً بينهم، فذكروا الكهف من دون الإشارة إلى ذكرٍ سابق له كما معروف في (ال العهد)، فضلا عن كون هذا المكان ملاذ لخلوتهم ومصدر آمنهم فهي صورة رمزية أُشير إليها؛ لأنّها منبع للأمان ورمز للمكان المعزول عن الصخب والضجيج، وفيه دلالة الإيحاء على الستر وعدم الكشف، هذا من جانب، ومن جانب فإنّ التلميح للفاعل هنا من دون تصريح يترك مساحة للعقل في التأمل

إذ إنّ هذا الغياب يضفي على القصة حالة من القدسية مما يجعل المتلقي يستشعر قوة إرادة الفتية، فالهداية هنا قد تكون وفّقت إلى قلوبهم وأُلهموا بها؛ لكن التعبير اختار أن يظهر الفعل بصيغة بشرية مباشرة، فاقتصاص الفاعل الظاهر وإسناد الفعل إلى ضمير من دون تصريح له فيه بلاغة في الإخفاء تظهر شخصية الفتية؛ بل وتُعلي من شأنهم، وتوحي بأنّ الهداية ليست دائمًا بصيغ الأمر؛ بل قد تكون بطرق أخرى كالإلهام الداخلي والاستبصار، فالتعبير القرآني يتسم بثراء بلاغي عميق، يقوم على دقة البناء، وانتقاء الالفاظ ، فضلا عن توزيع الوظائف السردية على نحو يراعي فيها المقاصد العقدية أو التربوية وهذا "يعطي للنص بعداً حيوياً ميكانيكياً مفعماً بجرس الصوت ولون الصورة وديمامية الحركة، محولاً ذهن المتلقي من المساحة القرائية المكتوبة إلى مساحة بصرية مفعمة" (علي هادي حسن حسين، ٢٠٢٤، صفحة ٨٢)، ثم إنّ جزم الفعل المضارع (ينشر)، الذي وقع جواباً للطلب جاء مبني على الثقة بالرجاء والدعاء وساقوه مساق الحاصل لشدة ثقتهم بلطف ربهم وأنّ نشر الرحمة متجدد لهم حال الإيواء، وكأنّ نشر الرحمة جاء مقرون بالإيواء أي (أووا ينشر لكم، وإن لم تأووا لن ينشر لكم)، وهذه الجملة الخبرية تصور الحالة النفسية لهؤلاء الفتية وهم في لحظة ضعف بشري مشفوعة بثقة من الله تعالى، مما يضفي على الجملة جمالية روحية عالية، تربط بين الفعل الإنساني والمكافأة الربانية، فالتركيب يُسند مبادرة الإيواء إليهم، بينما يُسند الفرج والرحمة إلى الله ـ تعالى ـ، وهذا الاسلوب يتوافق مع قوله عزّ وجل: {وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا}، إذ يظهر التأثير الإلهي كقوة داعمة بعد الفعل لا قبله، "فالربط على القلوب استُعير للتثبيت النفسي الذي يحمي الفتية من الضعف أمام تهديدات الملك الظالم، ويقوّيهم على مواجهته برباطة جأشٍ وجلادة عزم، وفي الربط قوة شدٍّ تضمن حفظ الصبر المشدود من الضياع والتبدّد، وتُبقي على النفس متماسكةً ثابتة كما تنضم مكنونات الأوعية بعضها إلى بعض حين يُحكم شدُّ أفواهها، وفي تعدي الفعل وهو مما يتعدّى

بنفسه بحرف الاستعلاء (على) دلالةٌ على التمكّن من الشدّ حتى امتلأت القلوب ثباتاً ويقيناً، بل علا عليها الثبات وفاض منها اليقين، فثمةَ فرق واضح بين ربط الشيء والربط على الشيء، فالثاني فيه إحاطةٌ بحيث يكون معه الربط أشدّ وأثبت، بخلاف الأول الذي يكون معه الربط من طرف واحد" (صالح ملا عزيز، ٢٠١٠، صفحة ١١٦)، فالربط الإلهي على قلوب المؤمنين فيه دلالة على الثبات الروحي الذي يحفظ معنويات المؤمنين من الاهتزاز مثلما يحفظ إحكامُ الشيء المربوط ما أودِع فيه من نفائس، فالربط على القلوب تعبير تصويري ذو إيحاء شديد يعبّر عن الشعور بالاطمئنان، واسترداد الشجاعة، بعد المرور بموقف عصيب يثير الاضطراب ويرجف القلب(عودة خليل أبو عودة، ١٩٨٥، صفحة ٢٩٧)، لذا يمكن القول :إنّ الوحدة الكبرى التي تتبني عليها سورة الكهف هي التركيز على العقيدة وقصة الفتية هذه هي أنموذج لإيثار الإيمان على باطل الحياة وزينتها، والالتجاء إلى رحمة الله هربًا بالعقيدة أن تمس، فسياق قطع الاحداث كشف عن كثير من المعاني العميقة داخل النص، منها : تأكيد قدرة الله المطلقة في إنامة هؤلاء الفتية وايقاظهم من دون التركيز على الجوانب الأخرى التي تصرف الانتباه عن هذه القدرة، كذلك من المعاني المتولدة في سياق هذه القصة تثبيت عقيدة البعث والحساب من خلال إعادة الحياة بعد الموت وهي قضية محورية في هذ القصة، فضلا عن أنّ هذه القصة توضح كيف أنّ الاقتصاص للأحداث ليس مجرد اختصار وحذف واقتطاع؛ بل هو أداة فنية وبلاغية قوية لتوليد المعاني وتوجيه المتلقي نحو مقاصد القرآن السامية، وهنا ينتهي هذا المشهد الذي صورته هذه الآيات بدقة ولم يبين النص ما الذي جرى لهم من أحداث بعد دخول الكهف هل ناموا مباشرة هل تسامروا في ليلتهم هل تشاورا عن حال أهلهم، فهنا اقتص التعبير تلك الأحداث لينقلنا النص القرآني إلى مشهد آخر يتمثل بتصوير الفتية وهم نيام في كهفهم بطريقة بلاغية رائعة، بحيث لا يشعر المتلقي بأسلوب الانتقال، وهو يقرأ نص الآيات الكريمة، بل ينتقل انتقلاً عجيباً من خلال الإعجاز التركيبي اللغوي بأسلوب العطف {وَتَرَى

الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} (الكهف :١٧)، وهذه معجزة أخرى تتجسد في هذه الجملة الفعلية الخبرية التي تتكون حمولتها الدلالية من قوة إنجازية حرفية تمثلت في وصف حال الفتية وهم نيام في كهفهم، صور لنا التعبير القرآني بعدسة كامرته صورة طلوع الشمس على الكهف ووصف لنا شكل الكهف الذي أوى إليه الفتية وصفًا دقيقًا فبناء الكهف كان مصممًا بصورة عجيبة متقنة ففم الكهف كانت جهة منه مفتوحة إلى الشمال الشرقي، فكانت الشمس إذا طلعت تطلع على الجانب من الكهف ولا تدخله أشعتها، وإذا غربت كانت أشعتها بعيدة عن فم الكهف منها حين طلوعها، ففي قوله عز وجل وصف دقيق لذلك قال تعالى: {إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ}، قال ابن عاشور : "(ذات اليمين) و(ذات الشمال) بمعنى صاحبة، وهي صفة لمحذوف يدل عليه الكلام، أي الجهة صاحبة اليمين، وتقدم الكلام على (ذات) عند قوله تعالى : (وأصلحوا ذات بينكم) {الأنفال:١} والتعريف في اليمين، والشمال عوض عن المضاف إليه، أي يمين الكهف وشماله، فيدل على أنّ الكهف كان مفتوحًا إلى الشمال الشرقي، فالشمس إذا طلعت تطلع على جانب الكهف ولا تخترقه أشعتها، وإذا غربت كانت أشعتها أبعد عن فم الكهف منها حين طلوعها" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ١٥/ ٢٧٩)، وهذا وضع عجيب يسره الله لهم بحكمته وجاء متناسباً مع نشر الرحمة التي تيقن منها الفتية عند إيوائهم إلى الكهف، ولو عدنا إلى النص السابق (فأووا إلى الكهف)، لوجدنا النص يحمل ملامح من الهدوء بشكل عام إذ خلت الآية من أصوات التفخيم وهذا يقرب إلى الذهن جو مريح اتسم بالرحمة والطمأنينة والاتساع، فكانت رحمة الله بهم شاملة في طلوع وغروب الشمس لتكون حالة من اعتدال جو الكهف فلا ينتاب البلى أجسادهم، وهذه من آيات قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ولو تمعنا دقة التعبير نلاحظ أنّ السياق جاء مقيدًا باسم الزمان المتضمن معنى

IRAQI Academic Scientific Journals turnitin doi Crossref KUJHS

الشرط (إذا) دون (إن) في قوله تعالى: (إِذَا طَلَعَتْ ... وَإِذَا غَرَبَتْ) للدلالة على قطعية حصول هذا الشيء؛ "لأنّ الأصل في (إذا) أن تكون للمقطوع بحصوله" (دكتور فاضل صالح السامرائي، ٢٠٠٧، صفحة ٤/ ٦١)، ومعلوم أنّ طلوع الشمس وغروبها أمر مقطوع بها في الحياة، إذ لا يشك عاقلٌ في ذلك، كونها أمور واقعة لامحالة، لذلك استعمل التعبير الدلالة التي لا تحتمل الشك فاستعمل أداة الشرط (إذا) دون غيرها من أدوات الشرط الاخرى (قحطان جاسم محمد، ٢٠٢٠، صفحة ٤٢).

٤. قصة سليمان . عليه السلام ـ وملكة سبأ :

أما ما جاء في هذه القصة فهو حوار من نوع آخر تميز بجوانب عدة فهو حوار بين نبي ملك ، وملكة ذات حكمة ومشورة وعقل ويمكن تسميت هذا الحوار ـ بالحوار الملكي ـ وأثيرت في هذه القصة مجموعة تساؤلات هيمن فيها أسلوب الاستفهام بشكل واضح في التعبير، ولا سيمّا في الآيات التسع والعشرين من القصة فهناك أكثر من اثني عشر سؤالا في سياق التعبير، وقد تجلت الدلائل البلاغة في هذه القصة بأساليب متعددة وظواهر اقتصاص بلاغية عميقة، أظهرت عظمة النص القرآني وقدرته على الإيجاز والإعجاز البياني من دون إخلال بالحبكة السردية للتعبير، وأول ما يطالعنا في النص القرآني لهذه القصة التلخيص غير المخل، إذ جاء التعبير بأسلوب موجز مكثف لا إطناب فيه ولا ملل؛ بل أعطى للمتلقي لبّ المعنى، حيث تبدأ أحداث الرحلة السردية للقصة من خلال المشهد الأول لسؤال نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ عن الهدهد الذي غاب بلا إذنٍ، وهنا اقتصاص لم يذكره القرآن إذ لم يبين سبب التفقد من قبل نبي الله سليمان، ويبدو أنّ السبب الأرجح في ذلك أنّ الهدهد طائر أكرمه الله ـ تعالى ـ بميزة رؤيا الماء في باطن الأرض، ويبدو أنّ نبي الله سليمان احتاج للماء في ذلك الوقت؛ لأنّ لفظة (حُشِرَ) تدل على إعلان حالة تعبئة كبرى استعدادٍ لأمرٍ ما أو لحملة ما، لم يفصح عنها القرآن بدليل أنّ الجيش كان في مسير دلّ

على وصفه قوله تعالى : {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ}(النمل :١٨)، وربما رأي آخر يشير إلى أنّه كان طائر مقرب من النبي ـ عليه السلام ـ فلم يره أثناء المسير ومن عادة القائد المحنك أن يتفقد جيشه عند كل استراحة أو اثناء سير القطعات ولاسيّما إذا كانت الرحلة طويلة، وهنا يسدل الستار عن مشهد النملة ويرفع أمام حديث الهدهد بعد التفقد من القائد وإذا بمشهد فيه زمنٌ غير مذكور عبر عنه القرآن بجملة تختصر كل ذلك المقطوع بقوله تعالى:(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) وهذه الآية تمثل الوقوف السردي للزمن بلقطة سريعة وحذف منها اسم المكان واسم الزمن وجاء بالوصف للدلالة على المحذوف (مكث زمنًا غير بعيد أو مكاناً غير بعيد) ليمثل الزمن القصير بالمكان القريب، ثم قفز النص بشكل مفاجئ إلى حديث الهدهد بقوله: {فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)} (النمل :٢٢، ٢٣)، وهذا المشهد مثل عودة الطائر الغائب ومعه العذر، كاشفًا عن مسعى الهدهد "وهو يعلم حزم الملك وشدة بطشه فهو يبدأ حديثه بمفاجأة يعدها للملك تبرر غيبته وافتتحها بمضمون إصغاء الملك إليه أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ" (سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ٢٠٠٢، صفحة ٢١١)، إذ وصف الخبر بالمصدر (يقين) مبالغة لما رأى وحقيقة بما شاهد، ثم بين ذلك الخبر بأسلوب الفصل والاستئناف البياني :{إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} (النمل :٢٣)، وجاءت هذه الجملة تفصيلا بعد اجمال لتكون أكثر تركيزا في الذهن وأدعى تشويقاً للنفس، ثم إنّ تأكيد الخبر بـ(إن) الذي جيء به في صدر التعبير هو للاهتمام بمضمون الخبر، إذ لم يكن معهوداً في بني اسرائيل أن تكون المرأة ملكا، لذلك جيء بـ(امرأة) في سياق التعجب من جنسها لوقوعها موقع ابتداء النكرة، وقد تميزت أحداث هذه القصة، بخلاف السرديات السائدة التاريخية منها والأدبية بما تمتلكه من اقتصاد بلاغي جمالي دلالي يتأسس على مبدأ "الاجتزاء" بوصفه آلية فنية مقصودة لاختزال الأحداث من أجل تكثيف سلطة المعاني ، حيثُ

تجلت هذه الظاهرة في قصة النبي سليمان . عليه السلام . وبلقيس ملكة سبأ ، إذ إنّ النص القرآني لا يقدم تسلسلًا زمنيًا تفصيليًا للوقائع والأوصاف بل يركز على العبرة من القصة، فليس من المهم أن يُعرّف القرآن بالمرأة واسمها وكيفية توليها العرش؛ بقدر ما يركز على العبرة المقصودة من القصة، لذلك اقتصّ التعبير ذلك كله واختزلها بعبارة تغني وصف ملكها على لسان الهدهد بقوله: (امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء)، فالعبارة موجزة مكثفة، وهي كناية عن عظمة ملكها بأسلوب الفعل الذي لم يسمّ فاعله ليترك القارئ يملأ بخياله عظمة ذلك الملك بنفاسته وضخامته وما أوتيت به من قوة ومهابة وتنظيم، ثم قفز التعبير بنا قفزات مقصودة من دون التركيز على المرأة، حيثُ غيّب فيها السطح السردي الأبجدي وتجلى فيها إلى عمق ما بعد السرد، ليبرز القيم والرسائل والمقاصد التي أرادها الشارع، ولا يخفى أن ظاهرة الاقتصاص السردي في سياق القصة مثل حضوراً بقصدية الغياب، حيث عمل كأداة توجيه دلالي، يصرف نظر المتلقي من الظرفيات العرضية إلى الجواهر العقائدية، ويضمر الكثير من التفاصيل، ليرفع الإيقاع الجمالي البلاغي، ويطلق الطاقات التأويلية للمعاني التي تبدو مجردة للقارئ غير المتمعن، فمنذ اللحظة الأولى لتلقي خبر الهدهد يقتطع النص مجريات التحقق (كيف وأين وماذا) ويذهب مباشرة إلى ردّ فعل نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ فبعد أن سِمعَ الهدهد أثار التعبير استئنافا بيانيا لقول سليمان ـ عليه لسلام ـ وكأنّه وقع جوابًا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهُدهدِ وكأنَّه قيلَ فماذا فعلَ سليمانُ . عليه السَّلام ـ عند ذلكَ، {قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} (النمل:٢٧، ٢٨) من دون أن يُفصّل النص مشاعر سليمان اتجاه الخبر أو تفكيره أو حتى طريقة ارسال الكتاب؛ بل تجاوز ذلك التعبير ليضعنا أمام فعل كلامي انجازي (اذْهَبْ بِكِتَابِي)، فتولّد من هذا الاقتصاص إظهار تأكيد الحزم النبوي المبني على السلطة والفراسة والوحي، فالغرض ليس تسجيل الوقائع؛ بل إظهار المبادرة النبوية إلى الدعوة بوصفها المقصد الأسمى؛ لأنّ

المسألة تتعلق بعبادة الله وتوحيده، ثم يسدل الستار عن الحوار بين الهدهد وسليمان ويقطع الأحداث تاركًا وراءه فجوة يقتضيها سياق القصة ليتأملها القارئ بخياله طاويًا التعبير ذلك المشهد من خلال اقتصاص ما يمكن الاستغناء عن التصريح بذكره، حيثُ طويت أخبار كثيرة يمكن الاستدلال عليها ما بين الخبرين المذكورين من اقتضاء عدة أحداث من ذهاب الهدهد لحين وصوله وإلقاء الكتاب، لكن التعبير لم يصرح بذلك ليركز على أحداث ما هو أهم، فيرفع الستار عن مشهدٍ آخر في قصر بلقيس وهي أمام كتاب يلقى إليها من دون تفصيل للأحداث إذ اجتزأت تفاصيل ردة فعل بلقيس الأولى على الرسالة فلم تظهر في النص، فلا نعرف أبعاد مشاعرها وتساؤلاتها، ولكن بلا شك أنّها مرت بمرحلة انفعالات نفسية وهي تقرأ الكتاب الملقى إليها كتاب موجز مكثف عميق الدلالة فهمت محتواه من أول نظرة من دون تفصيل لذلك الكتاب (شكله ظرفه مداده ختمه) سوى كلمات {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} وما هذه الكلمات الإعجازية إلا هي معاني مفعمة بالدلالات والطاقات اللغوية على الرغم من إيجاز لفظها رسالة تحمل دعوة إلى الدخول في الإسلام، مؤكدةً ذلك بتوكيدين يدل على الاهتمام بمرسل الكتاب في مقام لاشك فيه، ومعلوم أنّ الأنبياء لا يطيلون في كلامهم بل يقتصرون على المقصود بأوجز العبارات وهذه الرسالة اشتملت على تمام المقصود ، ولحكمة المرأة عرفت أبعاد ما بعد الرسالة، أمّا الدخول في ملك سليمان ودينه وأمّا الانهيار والإذلال، فقوله عليه السلام (اتوني مسلمين) تعبير مجازي تضمن معنى اتباع السبيل والانقياد لأمر الله سبحانه وتعالى وتفرده بالعبادة، فهذه القصة حافلة بالأحداث والمشاهد والحركات، فضلا عن تقطيع المشاهد ووضع الفجوات الفنية بينها، وهنا ينتقل النص إلى مشهدٍ حواري مباشر يسجل ردة فعلها الرسمية أمام الملأ بعد أن كشفت عن مضمون الكتاب أمامهم ووصفت الكتاب بـ(أنه كتاب كريم) ويحتمل وصفها لهذا الكتاب لنفاسة خطه وورقه وبهاجة شكله أو أنّه "مستوفيا كل ما جرت عادة أمثالهم بالتأنق فيه، ومن ذلك أن يكون مختوما، وقد قيل: كرم

الكتاب ختمه" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ١٩/ ٢٥٨) ، ويحتمل التعبير بهذا الوصف أنّه تلميحٌ منها بأنّها لا تريد الدمار والحروب لكنّها لم تصريح بذلك، بل مهدت له بهذا الوصف، لما اشتمل عليه الكتاب من معاني لم تكن محمودة عندها، لأنّ الرسالة حملت في محتواها أسلوب النهي المراد منه التهديد، وهنا تطغي مشاعر الأنوثة والعاطفة على الموقف فتظهر بحيرة من أمرها فطلبت الرأي والمشورة وإذا بنداء عاجل يستغرق تحشيد أهل الرأي من أشراف قومها ولفت انتباههم إلى خبر فيٍ بالغ الأهمية وهذه دلالة على سرعة الاستجابة من الملكة، فالتعبير جاء على سبيل الاستئناف البياني للإسراع بالإجابة على الكتاب فقالت: {يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ}(النمل :٣٢)، فقولها حتى تشهدون كناية عن الموافقة فيما تقطعه من رأي، وإذا بجواب الرجال الاستعداد فصرحوا بأنّهم مستعدون للحرب دفاعاً عن ملكهم وعرضوا عن ذلك بقولهم : (أولوا قوة وأولوا بأس شديد) فالقوة والشدة في التعبير هنا كناية عن العدد والشجاعة وتعريضاً منهم بالقتال إنْ أرادت ذلك لكنّها لم ترد ذلك الاستعداد والبأس لحكمتها وذكائها فأعرضت عن ميول مشاوريها وأسرعت في إبداء رأيها وميلها إلى الصلح وفضلت جانب السلم فأشارت إليهم بإرسال هدية {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} ليختصر المشهد القرآني في موقف يعكس حنكة قيادية وشورى حذرة، دون الانغماس في المشاعر أو المونولوجات الداخلية لها أو الآراء الانطباعية، مما يمنح السرد قوة رمزية لا وصفية، وحين ترسل بلقيس بهديتها ينتقل المشهد بالقصة إلى مقام سليمان ـ عليه السلام ـ إذ ترك التعبير تفاصيل ما دبرته تلك الملكة من نوع الهدية ووصفها ومن القائد الذي تولى المهمة، ولم يسجل النص مشهد الاستقبال ولا زمن الرحلة ومدتها، وهنا تلخيص سردي لكل هذه الأحداث من النص القرآني من دون التركيز عليها، ولعل السبب في ذلك لعدم تعلق الغرض الديني والفني بذكرها، ولهذا الاقتصاص أبعاد فنية على مستوى البناء التعبيري قصدها النص القرآني إذ أضفى طابعًا حداثوياً على النص وحفز التأويلات المتعددة لدى

القارئ ولا سيّما أنّ الرحلة فيها أبعاد نفسية وطابع سياسي مما يدفع القارئ لتأويل تلك الأحدث بنفسه ويجعله مشاركاً في بناء المعنى، فالمشهد مشهداً مكثفاً بوصفه مختصراً فالعبرة من الرحلة ليس وصف الطريق ومخاطره؛ بل إنّ العبرة من الرحلة هي النتيجة التي آل إليها المبعوث فأسلوب الاقتصاص هنا جاء مقصوداً ليحول المشاهد إلى لقطات تزيد من عنصر التشويق لدى المتلقي، فزمن المبعوث وانطلاقه غير مذكورين وغير معلومين في السياق؛ بل إنّ النص ينقلنا من زمن الانطلاق إلى زمن الوصول من دون المرور بالرابط الوسطي للأحداث ليجعل المتلقي هو من يتخيل ذلك المقصوص من الرحلة، فالتعبير يختزل ذلك كله ويجعلنا أمام لقطة سريعة تمثلت بردّ سليمان ـ عليه السلام ـ من دون تفصيل للحوار وبلا شك أنّ جواب نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ كان رداً على عرض المبعوث الذي جاء بهذه الهدية {فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ قالَ: أَتُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ. ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها، وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَهُمْ صاغِرُونَ} (النمل:٣٦)، فالسياق هنا في هذه الآية حذف الحوار الوسطي من النص وركز على استنكار سليمان ـ عليه السلام ـ من خلال اظهار أسلوب الاستفهام الاستنكار التعجبي، وبإنكارٍ شديد يحمل في ثناياه التوبيخ فقوله: "(أَتُمِدُّونَنِ بِمالٍ) فالجملة مستأنفة، سيقت كجواب لسؤال مقدر، والاستفهام للإنكار، أي: قال منكرًا لإمدادهم له بالمال، مع علو سلطانه، وكثرة ماله" (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ١٤١٤، صفحة ٤/ ١٥٩)، وتنكير كلمة (مال) في سياق التعبير توحي للتقليل من شأن المال وتحقيره أمام ما تفضل الله به عليه من النبوة والعلم والسلطان والمال، وسيق التعليل لذلك الإنكار وعطفه عليه بالفاء في قوله : {فَما آتانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ} "يشعر بأنّه علِم أنّ الملكة لا تعلم أنّ لديه من الأموال ما هو خير مما لديها" (جالية، ٢٠١٧، صفحة ٥٢١) ، لذلك تبين لنبي الله سليمان مقصدها من الهدية وهي محاولة صده عما تضمنه كتابه والسكوت عن جواب الرسالة وإرسال هدية يقضي محاولة صرف سليمان عن طلبه،

وقد رسم حرف الاضراب (بل) صورة المبعوث وإرباكه أمام سليمان ـ عليه السلام ـ، إذ انتقل التعبير في الحديث من قيمة الهدية إلى حقيقة حال الملكة وقومها من خلال أسلوب القصر إذ افاد تقديم الجار والمجرور(هَدِيَّتِكُمْ) على الخبر(تَفْرَحُونَ) التخصيص والقصر، أي أنتم من تفرحون بذلك وتعظمون تلك الهدية، فالرسالة الإلهية لا تساوم بالذهب، والنبوة لا تخضع لمراسيم الرشوة، للصد عن الدعوة والتوحيد، ثم يقتص التعبير طبيعة الأحداث من النص مغيبًا في ذلك كيفية استقبال الطرف الآخر لإرجاع الهدية هل كان استسلامًا أو فهمًا منه بأنه نبي ملك، وهل أثر ذلك على العلاقة بين المبعوث ونبي الله سليمان فالنص لم يقدم هذه التفاصيل في التعبير؛ بل يثير الفضول لدى المتلقي ويدفعه إلى محاولة سد هذه الفجوات في السرد القصصي من خلال التأويلات الممكنة، أي أنّه يجعل النص وكأنّه يبدو جزء من قصة أكبر لم ترَ أحداثها بالتفصيل، لذلك يمكن القول: إنّ الاجتزاء القرآني لا يقتصر على حذف التفاصيل الصغرى؛ إنمّا يمتد إلى تكثيف اللحظات المفصلية ويبدو أنّ رسول المكلة قصّ عليها ما رأى من ملك عظيم وتسخير كبير من الطير والجن والريح فليس أمامها إلا المجيء فهو ملك ليس كأحد الملوك ؛ بل هو نبي مؤيَّد لا حاجة له بالدنيا ولم يرضَ بالرشا، وعنده من الملك أعظم مما عندك، ثم يُطوى المشهد هنا من دون خبر لرجوع الرسالة والهدية أو أي كلام للمبعوث، ويبدأ التعبير باستئناف ابتدائي من مشهد آخر وهو طلب سليمان ـ عليه السلام ـ جلب العرش من دون تفصيل لأحداثه ، إذ نجدُ أنّ التعبير القرآني يركز على التحول الدرامي في موقف الملكة ولم يقدم السرد تفصيلاً لمجيئها؛ بل اكتفى التعبير بإشارات مكثفة موجزة تخدم الغرض البلاغي والتوجيهي الذي سيقت من أجله القصة، ويذكر قدومها إجمالاً من دون تفصيل لمدة السفر أو عدد المرافقين أو حتى مشهد الطريق، قال ابن عاشور: "وقد طوي خبر ارتحالها إذ لا غرض مهمًا يتعلق به في موضع العبرة. والمقصود أنَّها خضعت لأمر سليمان وجاءته راغبة في الانتساب إليه" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ١٩/ ٢٧٣، ٢٧٥)، فبدلاً من أن

يصف آلية النقل، ينقلنا النص مباشرة إلى مشهد انجاز كلامي طلب نبي الله سليمان بأسلوب النداء {يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}، ويحتمل أنّ هذا التعبير قيل: بعد علم سليمان . عليه السلام ـ بخبر مشارفة الملكة مدينته ثم يقفز بنا النص مسرعًا بأسلوب مكثف من دون اظهار لأي حوار في سياق التعبير سوى كلام جاء مستأنف واقعاً موقع الجواب بلا شك لحوارٍ دار بينهما واقتصه التعبير لعلم القارئ به ، ثم ينتقل التعبير بأسلوب الالتفات من الغائب إلى المتكلم من عرض العفريت إلى تفوق صاحب فلم يظهر من هو سوى لفظ له { أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}، وإذا بفجوة تعبيرية :{فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ} توحي هذه الفجوة السردية إلى تحوّل الحدث من كونه (فعلاً ماديًا) إلى معجزة روحية عبر آلية الإدهاش السردي لم يتقصد النص إثباتها فحسب؛ بل هي مفارقة توقظ الخيال وتربي المتلقي على الإيمان بالغيب والتكثيف هنا في التعبير جاء اقوى من الولوج في التفاصيل التقنية لنقل العرش، ثم يكشف السياق التعبيري عن مشهد بلقيس وهي في حالة دخول إلى الصرح في اختزال سردي مذهل بعد سُئلت عن عرشها {أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ} (النمل:٤٢)، ولفطنتها وذكائها لم تجزم بأنّه هو، ولم تنفه النفي البالغ، بل قابلت السؤال بجواب مشابه عن الطريق التشبيه المجمل المرسل أو ما يسمّى بالتشبيه المؤكد (كأنّه هو)، ولما أراها سليمان ـ عليه السلام ـ عظمة ملكه وحضارته، انتقل بها إلى مشهد بديعٍ من آثار الصناعة الحكيمة ألا وهو الصرح واستعمل التعبير (أل التعريف) في لفظة الصرح ليضفي طابعًا من الفخامة والإعجاز ويبدو وكأنّه فريد من نوعه فهو صرح استثنائي في تصميمه ومواده ، فضلاً عن أنّ فائدة التعريف هنا فيه تمهيد لردة فعلها اتجاه ذلك الصرح وهيّء المشهد للمفارقة التي حدثت إذ بدا لبلقيس وكأنّه ماء جاري وهذه المفارقة زادت من قوة المشهد واعجازه، ولم يبين التعبير كيفية بناء ذلك الصرح إذ ترك فجوة البناء واقتص تفاصيلها وانتزعها من أجواء النص وترك المجال لخيال القارئ يحدد عظمة ذلك الصرح وإظهار بديع النصاعة التي اختصت بها قصور سليمان ـ عليه

السلام ـ في ذلك الوقت، ثم يتحول الوصف التعبير للنص من بناء معماري إلى مرآة رمزية لوهم الإدراك، فبلقيس خدعت بالبصر، فأراد نبي الله سليمان من هذا الفعل أن يبين لها طبيعة انخداعها في عبادتها، من خلال الكشف عن وهم الإبصار إذ إنّه لا يختلف عن وهم العقول في العبادة، فما كان منها إلا أن أسلمت وخضعت ولم يصدها علو شأنها وعظمة سلطانها مع ما تمتلكه من سلامة الفطرة وذكاء العقل من أن تناقش في دلائل صدق الداعي إلى التوحيد وتوقن بفساد الشرك وتعترف بالوحدانية لله، وتبصر الحقيقة حتى: {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، في لحظة توحيد مكثفة خلت من أي حوار داخلي أو تفصيل نفسي؛ ذلك لأنَّ الإيمان في التصور القرآني لا يبنى بالتحليل العقلي وحده، بل بالصدمة الإدراكية والإنارة الباطنية، وفي نهاية القصة ينتقل النص فجأة إلى الحديث عن ثمود ولوط (عليهم السلام) من دون أي جسر روائي ظاهر، لكن هذه القطيعة الظاهرية تحمل مقابلة بلاغية مقصودة بين من آمنت فنجت ومن كفروا فهلكوا، وهكذا تختتم قصة بلقيس لا بخاتمة سردية، بل بمقارنة دلالية. تؤسس لقاعدة قرآنية شاملة: الهداية نجاة، والضلال دمار، ويظهر النص القرآني في قصة سليمان ـ عليه السلام ـ وبلقيس قدرة سردية استثنائية تقوم على الحذف والتكثيف والمفارقة، إذ يعاد بناء القصة كحكاية زمنية ورحلة دلالية نحو التوحيد. فالاجتزاء هنا قصدية بلاغية تُحيل إلى فائض في المعنى وليس نقصا أو غياباً فحسب وفي ذلك تتجلى إحدى صور الإعجاز القرآني أن يصاغ اللامرئي في بنية مرئية تحرك الخيال وتوقظ القلوب، وهكذا فإنَّ القطوعات السردية ليست فراغات، بل مرايا دلالية تفتح التأويل وتربي التلقي، وتؤكد أن الغرض من القصص القرآني ليس تسجيلًا لتفاصيل الحوادث بل بيانًا للسنن.

٥. قصة أصحاب الأخدود :

تعد هذه القصة من القصص التي ورد ذكرها لمرة واحدة في القرآن الكريم في سورة البروج إذ تمثل هذه القصة أنموذجًا للتكثيف السردي والاقتصاص الموصل إلى أعلى درجات التأثير العقائدي على الرغم من قصرها، إلا أنّها تركز على حدث جلل وتجعل من الصمت أداة بلاغية لبناء حدث درامي عنيف، فظاهر التعبير فيه مفارقة بلاغية يبين أنّ أصحاب الأخدود هم الذين قُتِلوا؛ لكنّ في سياق القصة هم القاتلون لا المقتولون، وهذا الأسلوب فيه صفعة قوية للمتلقي تعصف بذهنه حول بؤرة الحدث إذ يلاحظ على هذه القصة تسارعًا ملحوظًا في سرد الأحداث من دون تمهيد له، بل اقتص التعبير تفاصيل أحداث كثيرة وقفز النص القرآني مباشرة إلى المشهد المحوري من القصة وهو إظهار صورة العذاب وإحراق المؤمنين في أخاديد حفرت لهم، وهذه الجملة الموجزة بحد ذاتها تصلح أن تكون عتبة افتتاحية للسرد القصصي، لكنّ التعبير القرآني لم يبدأ بها؛ لكنّها جاءت منتقاة بدقة من وسط حدثي في القصة ذكرت بعد أقسامٍ متوالية ابتدأها الله ـ سبحانه وتعالى ـ في قوله :{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ..."، ثم انتقل التعبير فجأة من دون مقدمات للقصة: " قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)} (البروج :٤- ٨)، وهنا تبرز براعة السرد القرآني في إيجاز القصة وعمق دلالتها حيث انتقل التعبير انتقلا فريداً من اسلوب القسم إلى اسلوب المشهد وبتعبير مقصود موجز مكثف يمثل بؤرة الحدث وذروته من دون الخوض في تفاصيل ممهدة للقصة، ليُجدد هذا التعبير الانتباه عند القارئ ويحدث نشاطًا ذهنيًا عند المتلقي ويجعله أكثر أيقاظاً للاستماع والتأمل، وهذه دقة عالية المستوى، تختزل قصة كاملة في جملة واحدة من دون المساس بوضوح المعنى أو أحداث أي لبس في الفهم، فالتعبير القرآني هنا لم يبين طبيعة الأذى الذي تعرض له هؤلاء المظلومون قبل قتلهم، سواء أكان ذلك سجنًا، تعذيباً نفسياً، أو

استجوابًا، كما لم يبين النص عددهم، وجنسهم (رجالاً، نساءً، شباباً، أطفالاً)، ولم يظهر المكان الذي عذبوا فيه وقتلوا، ولم يذكر حتى اسم الظالم الذي أمر بتعذيبهم وقتلهم؛ بل أشار التعبير إلى ذلك برمزية مكثفة، وسكت عمداً عن كل هذه التفاصيل، وكل هذه الأحداث تثير تساؤلا فكريًا عن حدثٍ فظيع مؤلم لم يبين النص القرآني تفاصيله في مواطن أخرى بل أغلقت القصة في هذا الموطن وبُينت أحداثها بتعبير سردي مقصود، قليل الألفاظ عميق الدلالة، ولعل انتقاء هذه القصة بالذات التي أُشير لها إشارة سريعة جاءت تحمل سردا كثيفاً وتقنية بلاغية تعبير عن دقة الانتقاء وهي تقنية الاضمار حيث تلخص كل ما في القصة بهذه الكلمات التي جاءت مناسبة للسياق الزمني، فسورة (البروج) نزلت على المسلمين في ذروة الايذاء ـ أي إيذاء قريش للمسلمين في مكة، لتذكرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان ـ فانتقى التعبير هذه القصة من دون تفصيل لأحداثها، لأنّ المقام مقام صبر وإرشاد وتثبيت للمؤمنين على الأذى الذي أصابهم وإظهار القصة بهذه الصورة المرعبة تخفف عنهم وتُشد من عزمهم واصرارهم على إكمال طريق الحق فهم ليسوا وحدهم من أوذي؛ بل إنّ الأذى أصاب غيرهم، ولا يخفى أنَّ حذف المشاهد والاشخاص من القصة من دون التركيز عليها ولّد معانٍ بلاغية جديدة جعلت من التعبير يحدث تجريدًا بلاغيًا يجعل القصة خالدة وصالحة لكل زمان ومكان، وفيها نوع من التحذير والتهويل والدعاء بالهلاك لكل من يحاول محاربة الإيمان، فالقصة هنا لم توظف للسرد الترفيهي ، وإنمّا وظفت للتثبيت مع التلميح إلى عظمة العقيدة التي تعالت على فتنة الناس وبيان شدتها، مع الإشارة إلى بشاعة الفعلة، وما يكمن فيها من بغي وشر وتسفل، بالمقابل فيها إشارة إلى جانب ذلك الارتفاع والبراءة والتطهر من جانب المؤمنين في المواجهة والصبر، لذلك فإنّ اقتصاص الأحداث هنا جاء لإثراء المعنى دلالة فضلا عن دوره في تماسك النص واتساقه إذ لم يُخلْ اقتصاص الأحداث بالمعنى بل" أعطى النص بعدًا دلاليًا عبر فسحة المجال أمام المتلقي لتأويلات عدة تخدم النص، وتثير في متلقيه الانتباه وتشده

IRAQI Academic Scientific Journals turnitin doi Crossref KUJHS

إلى البحث عن المقطوع، فالحذف في النص القرآني جمع في أثنائه أكثر من فائدة كلها تصب في أثراء النص" (عبدالله خليف خضير عبيد، ٢٠٢٠، صفحة ٨٤)، لذلك يمكن القول: إنّ الحبكة القرآنية واحدة لكن المعنى منفتح ببنيته التركيبية وتشكيله النظمي للتأويل وفق ضوابط لغوية دقيقة يحتملها المعنى ويقبلها السياق، فتوظيف القصة هنا جاءت بصيغة زمنية مضت أحداثها التاريخية الحتمية فسُردت بصيغة المبني الذي لم يسمّ فاعله، إذ لم ينصب التركيز على الفاعلين، بل انصب التركيز القرآني على الضحايا ومعاناتهم، ليظهر قسوة القلب وانعدام الضمير، وفاجعة الفعل لا وصفه، ثم إنّ توظيف الفعل الذي لم يذكر مع الفاعل فيه إشارتان الأولى أنّ الجملة انتقلت بدلالتها من الخبر إلى الإنشاء وأريد به الدعاء على الفاعلين لهذه الحادثة، لذلك لم يذكر لفظ الجلالة في هذا المقام؛ لأنّ المقام مقام تنديد وتفظيع لما جرى، وحذف لفظ الجلالة يتماشى مع غرض التقبيح والإنكار، فضلا عن ذلك فإنّ القتل لا ينسب إلى الله تأدبًا وإن كان بيده ذلك هذا من جانب، من جانب آخر، أنّ التعبير القرآني لا يبحث عن الفاعل هنا؛ بل جاء جل اهتمامه وانصب على من وقع عليهم الحدث، فحذف الفاعل من السياق يسقط الاعتبار عن القتلة، ويرفع من شأن المظلومين، فالإبهام هنا في عدم الذكر يفتح دلالة أوسع للتدبر، فجاء الاقتصاص القرآني بطريقة التهميش لظالم احتقاراً له وعظمت من شأن المظلوم، لذلك انتقل التعبير من الفاعل إلى الفعل، تقدم الفعل (قُتل) على (أصحاب الأخدود) يبرز نوعًا من الاهتمام بالحدث لا بالأشخاص مما يعزز الطابع القصصي والدرامي، فضلا عن أنّ لفظة (اصحاب) المضافة إلى (الأخدود) أغنت النص عن كل تفصيل فكلمة (اصحاب) تدل على ملازمة هذا الفعل لهم؛ كأنّه صفة هؤلاء الأشخاص البارزة التي اتصفوا بها فأغنى النص عن ذكر الأسماء، وتضمنت هذه اللفظة أكثر من معنى داخل النص بينها ابن عاشور بقوله : "فيكون المراد من أصحاب الأخدود الذين ألقوا فيه وعذبوا به، ويكون لفظ أصحاب مستعملًا في معنى مجرد المقارنة والملازمة ويحتمل أنّ لفظ أصحاب يعم

IRAQI Academic Scientific Journals turnitin doi Crossref KUJHS

الآمرين بجعل الأخدود والمباشرين لحفره وتسعيره، والقائمين على إلقاء المؤمنين فيه" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ٣٠/ ٢٤١)، بينما أظهرت البنية التركيبية لكلمة (الاخدود) طبيعة العذاب فهي كلمة توحي بالعمق والظلمة إذ ترسم مشهدًا مرعبًا لكل تفاصيل القصة قبل أن تبدأ، ثم تأتي الجملة التفسيرية المكثفة بأسلوب الفصل (النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ) لتفسير الجملة السابقة من دون تفصيل لكيفية اشعال النار وما المواد الوقودية التي استعملت في إشعالها، فالنص القرآني اقتص كل هذه التفاصيل ليدفع بالقارئ إلى تخيل المشهد مما يزيد من تأثيره الوجداني، والتعريف بلفظ (النار) هنا فيه إشارة لعهد سابق لم يذكره القرآن أي كأنّ هذه النار سبق لها أن أوقدت وعذب بها غير هؤلاء فهي كالعهد الذي ارتسم في الذهن فعرفها عهدا ذهنيا، ولم يذكر لها عهدا سابقا في سياق النص لتعلقها بالأذهان، فكل لفظة من ألفاظ القصة جاءت مشحونة الدلالة، ولامجال للتفاصيل العرضية في ذلك ، ليترك تلك التفاصيل للقارئ يملأها بمخيلته، فالنص لم يركز على الأحداث كيف حصلت ومن قام بها؛ لكنّه ركز على لب العبرة من الحدث، فضلا عن توجيه المتلقي إلى الفكرة المركزية في القصة وهو تركيز رمزي يبين ثبات المؤمنين على العقيدة رغم البطش، ثم يسترسل التعبير بوصف المشهد {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}، والتعبير بهذا الأسلوب ليس مجرد وصفٍ عابرٍ لحالة جلوس، وإنّما هو دقة اختيار قرآني بليغ يحمل في بؤرته معنى مروع، يزيد من بشاعة الجريمة التي ارتكبها أصحاب الأخدود الظلمة' فالتعبير بهذه الطريقة أظهر دلالة الإصرار والثبات على الجريمة، ثم أنظر إلى التعبير إلى ما وراء كلمة (قعود) تجد فيها اصرارًا كاملًا، وجاءت اللفظة في موقع الجملة الاسمية وأتت بصيغة المصدر لتدل على الثبات والاستمرار لإكمال فعلتهم؛ لأنّ المصدر أبلغ في الدلالة على الثبات، وهذه اللفظة كشفت عن معنى غياب النية بالتراجع عن الفعل، وكنّى التعبير القرآني (بالعقود) لملازمة الأخدود "لئلا يتهاون الذين يحشون النار بتسعيرها، في تضمن دلالة استمرار في زمن مضى بدليل (إذ)

الموغلة في الزمن الماضي ، وفصل الضمير (هم) عن (قعود) بتقديم الجار والمجرور فيه تخصيص وتقبيح وكأنّ التعبير يشير إلى قولٍ يقول : (هم بالذات كانوا يتلذذون بالمشهد ويجلسون هناك)، ولا يخفى أنّ دلالة حرف الجر(على) جاءت هنا للاستعلاء المجازي؛ لأنهم لا يقعدون فوق النار ولكن حولها، وإنّما عبر عن القرب والمراقبة بالاستعلاء... ومحتمل أن تكون لفظة قعود هي وصف للمؤمنين الذين حرقوا بهيئة القعود؛ لأنّ ذلك أشد تعذيبًا وتمثيلًا، أي بعد أنْ يقعدوهم في الأخاديد يوقدون النار فيها وذلك أروع وأطول تعذيبا" (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ٣٠/ ٢٤٢)، وعلى أيّ وجه كان التعبير فإنّ اختيار الالفاظ هو إعجاز بلاغي يعطي للمشهد القرآني بعداً إضافيًا من الرعب، فهو ليس وصفًا اعتياديًا؛ إنما هو تصوير حدثي مكثف ودقيق، والتعبير عن القصص بهذا النوع من الإيجاز لا يكون لمجرد الاختصار في التعبير؛ بل إنّ ألفاظه جاءت متناسقة فيه بحسب ما يقتضيه السياق ومراعاة الموقف مع الإحاطة التامة باللغة ودقائقها وأسرارها وهذه هي قضية أعجازٍ بحد ذاتها، تفسح للمتلقي أبوابًا من التأويل والتأمل من خلال التفتيش في تراكيبه وجمله واقتصاص أحداثه مما تعكس على النص معاني جديدة ، كون الأسلوب القرآني ظني الدلالة، "أي حمّال لأوجه متعددة في وقت واحد مع مراعاة مستويات المخاطبين وأحوالهم ... فضلا عن اتساع دلالته لما لا تتسع له عادةً دلالات الالفاظ الأخرى، إذ تجعله صالحًا لمخاطبة العقل الإنساني في كل زمانٍ ومكانٍ؛ لأنّه صادر من جهة غير خاضعة لمقولات الزمان والمكان وتأثيرات البيئة ... فالنص ثابت والمعنى متحرك، وتأويلاته المتعددة المنفتح عليها النص تناسب الإنسان وقضاياه على مر العصور والازمنة" (محمد ذنون يونس و آماد كاظم البرواري، ٢٠١٩، صفحة ٦٤)، وأخر مانختم به القول إنّ غاية الاقتصاص هي البيان والإيضاح لوحدة الرسالات واثباتها بالصدق لابالخيال فهو وسيلة للتعليم والهداية وبناء الوعي الإيماني فغايته ايصال الفكرة المرادة من النص من دون ذكر لأشياء لافائدة من ذكرها للقارئ.

IRAQI Academic Scientific Journals turnitin doi Crossref KUJHS

الخاتمة :

١. تبين من خلال الدراسة أنّ للاقتصاص وظيفة أساسية تتمثل بالإيجاز والتكثيف اللغوي للحدث ، إذ يمكن من خلال هذه الظاهرة إيصال الرسالة المرادة بأقل عدد ممكن من الكلمات.

٢. رأينا من خلال الدراسة تناوباً بين الاقتصاص والإيجاز، فالاقتصاص يتخطى أحداثًا لا يحتاجها الموقف القصصي، بينما الإيجاز يعرض الأحداث عرضاً مكثفاً سريعًا لأهمية ذكرها في السياق متجاوزاً في ذلك التفصيل كما في قصة الرجل الذي مات مائة عامٍ.

٣. تبين من خلال الدراسة أنّ هناك تداخل بين مصطلح الاقتصاص والحذف والاقتطاع والاختزال ولكن بينهما اختلاف دقيق، فالحذف لا يكون الا بقرينة تدل على المحذوف سواء أكان ذلك الحذف كلمة أو جملة فالحذف إيجاز بإضمار،أمّا الاقتطاع فهو حذف جزء من الكلام مع بقاء المعنى فيه تعمد اخذ وترك آخر ، أمّا الاقتصاص فهو تلخيص للحدث وتلميح، فهو لا يحتاج إلى قرائن لحذف المشاهد ويترك عمدا مشاهدا يشارك بها المتلقي وهذا ما لايحصل في الحذف والاقتطاع.

٤. تبين من خلال البحث أنّ لظاهرة الاقتصاص في القصص القرآنية أغراض كثيرة منها انتاج المعاني، والتكثيف العباري، وغيرها من الأغراض البلاغية الأخرى كالتشويق والإثارة.

٥. أعطى فن الاقتصاص للتعبير سمت الاختزال والتكثيف من دون الإخلال بالجو العام للقصة القرآنية، وهذه دلالة على بنية التركيب الإعجازي لِلُغة لقرآن الكريم.

٦. تبين من خلال الدراسة أنّ البنية السردية للقصص القرآنية جاءت مركزة على الحكاية من دون تفصيل لبعض العناصر الأخرى من حيث الشخصيات وملامحها وبعض التقنيات الأخرى كون القصة لها غرض أساسي يراد منها التبليغ أو الحكمة والموعظة.

٧. أوصي بدراسة هذه الظاهرة بشكل مفصل في القرآن الكريم وبخاصة في القصص المنفردة في التعبير، وذلك لوفرة المادة البلاغية واللغوية في هذه القصص الفريدة .

IRAQI Academic Scientific Journals turnitin doi Crossref KUJHS

وآخر دعوانا إن الحمدلله ربّ العالمين وصلى الله وسلم على نبينا الطاهر الأمين.

المراجع والمصادر

عودة خليل أبو عودة. (١٩٨٥). التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن دراسة دلالية مقارنة. الاردن: مكتبة المنار.

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني. (١٤١٤). فتح القدير. دمشق: دار ابن كثير.

أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير. (١٩٩٩). *تفسير القرآن العظيم*. (سامي بن محمد سلامة، المحرر) دار طيبية.

أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري . (١٤٠٧). بيروت: دار الكتاب العربي.

أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد . (١٩٨٧). *جمهرة اللغة* (المجلد ط١). (رمزي منير بعلبكي، المحرر) بيروت: دار العلم للملايين.

أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي . (١٩٥٧). *البرهان في علوم القران* (المجلد ط١). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) دار احياء الكتب العربية.

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي. (١٤٢٠). *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير* (المجلد ط٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي . (٢٠٠٥). *من بلاغة القرآن*. القاهرة: نهضة مصر.

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ابن فارس. (١٩٧٩). معجم *مقاييس اللغة*. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) دار الفكر.

تمام حسان. (١٩٩٣). *البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني* (المجلد ط١). القاهرة: عالم الكتب.

جيرار جنيت. (١٩٩٧). *خطاب الحكاية بحث في المنتهج* (المجلد ط٢). (محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، و عمر حلى، المحررون) الهيئة العامة للمطابع الأميرية.

حسن بحراوي. (١٩٩٠). *بنية الشكل الروائي* . بيروت: المركز الثقافي العربي.

دكتور فاضل صالح السامرائي. (٢٠٠٧). *معاني النحو* (المجلد ط١). مؤسسة التاريخ العربي.

سميرة بنت محمد جالية. (ديسمبر, ٢٠١٧). بلاغة القصة القرآنية (قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ انموذجًا). *مجلة كلية الدراسات الإسلامية*، صفحة ٤٨١، ٥٥٢.

سيد قطب . (١٤١٢). *في ظلال القرآن* (المجلد ط١٧). القاهرة: دار الشروق.

سيد قطب. (٢٠٠٢). *التصوير الفني في القرآن*. القاهرة: دار الشروق.

صالح ملا عزيز. (٢٠١٠). *جماليات الاشارة النفسية في الخطاب القراني* (المجلد ط١). سوريا: دار الزمان للطباعة والنشر.

عبدالله خليف خضير عبيد. (٢٠٢٠). *الأنسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته* (المجلد ط١). مصر: دار النابغة.

علي هادي حسن حسين. (١٤ ٩, ٢٠٢٤). تقانة الكولاج السردي في رواية مقامات اسماعيل الذبيح لعبد الخالق الركابي. *مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية*، الصفحات ٧٩-١٠٠.

قحطان جاسم محمد. (سبتمبر, ٢٠٢٠). وقع الأحداث مع (إنّ وإذا) الشرطيتين في سورة الكهف دراسة في ضوء التعبير القرآني. *مجلة جامعة كركوك للعلوم الإنسانية*، صفحة ٣٠.٥٤.

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور. (١٩٨٤). *التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. الدار التونسية للنشر.

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري . (٢٠٠٠). *جامع البيان في تأويل القرآن* (المجلد ط١). (أحمد محمد شاكر، المحرر) مؤسسة الرسالة.

محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي. (بلا تاريخ). *تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

محمد ذنون يونس ، و آماد كاظم البرواري. (٢٠١٩). *جدلية إعجاز النص القرآني لغوياً وفكرياً اعتراضات ومعالجات* (المجلد ط١). بيروت: دار الرياحين.

المراجع الأجنبية

SEYMOUR CHATMAN .*STORY AND DISCOURSE Narrtive structure in fiction and film* .Gornell university press ITHAC AND london.